الفصل الثالث

البابا يوحنا بولس الثاني وتنصير العالم

obeikan.com

obeikan.com

في كتابها (الفاتيكان والإسلام) نشرت الدكتورة زينب عبد العزيز نص رسالة بابا الفاتيكان بولس الثاني حول تنصير العالم، وهي أخطر وثيقة تنشر ، ولأهميتها فقد ننشرها كما هي بعد حذف بعض الكلمات من تعليقها على رسالة البابا.

نص رسالة البابا بولس الثاني حول تنصير العالم

في الرابع عشر من شهر نوفمبر (١٩٩٤م) أعلن البابا يوحنا بولس الثاني، في روما: خطابه الرسولي الجديد والخطاب يدور حول الإعداد للاحتفالات الخاصة ببداية الألفية الثالثة لمولد المسيح، وهو بعنوان «مع اقتراب الألفية الثالثة» وهو صادر عن مطبوعات الفاتيكان والتي قالت عنه جريدة «لوفيجارو» الفرنسية الصادرة في (١٥/ ١١/ ١٩٩٤): «إنه بمثابة بيان للسياسة التي يجب أن تتبعها الكنيسة، و«البيان» هنا يأخذ معني المنشور السياسي.

وموضوع بداية الألفية الثالثة من الموضوعات العزيزة على البابا. إذ إنه قد آثاره لأول مرة في السابع عشر من شهر أكتوبر عام (١٩٧٨م)، في كنيسة «سكستين» بالفاتيكان، في الخطاب الذي ألقاه بعد تعيينه بسويعات في منصب البابوية. وقد عاد إليه ثانية في الرابع من شهر مارس عام (١٩٧٩م) في أول صفحة من خطابه الرسولي حول «المسيح فادي البشر».

ونجد نفس الفكرة في خطاب رسولي آخر حول «رسالة الكنيسة» الذي أصدره في السابع من شهر ديسمبر عام (١٩٩٠م) والذي كان بمثابة النص المرجعي لآلاف الكاثوليك الفرنسيين الذين اجتمعوا في مدينة «لورد» (من ٤ إلى ٩/ ١١/ ١٩٩٤م) في لقاء بعنوان «تبشير الكوكب».

ومن هنا ندرك كيف أن موضوع الألفية هذا «مرتبط بضرورة عملية جديدة لتنصير العالم» على حد قول «جوزيف فاندريس» مراسل جريدة لوفيجارو في

الفاتيكان (١١/ ١١/ ١٩٩٤م) والذي يواصل قائلاً: «إن عام ألفين سيصبح إذن: «عام الخلاص» وعام استقبال ذلك الإنجيل الذي عرضه يسوع في المعبد اليهودي بمدينة الناصرة، كرسالة تحرير لكافة شعوب العالم».

لذلك كان البابا قد دعي كافة الكرادلة إلى اجتماع عام في يومي (١٣، ١٤ يونيو ١٩٩٤م) لمناقشة الإعدادات الخاصة بذلك «العام المقدس» واقترح المجمع الكنسي أن يكون الموضوع الرئيسي للاحتفال هو: «يسوع المسيح، محور العالم وسيد تاريخه» وأن تستعد كافة الكنائس المحلية لهذا الحدث طوال فترة الأعوام الخمسة القادمة، أي من ١٩٩٥ إلى ٢٠٠٠!

وتكمن أهمية صدور هذا الخطاب الرسولي في هذا التوقيت من شهر نوفمبر ١٩٩٤م، وبعد شهر واحد فقط من صدور آخر كتاب للبابا وهو بعنوان «ادخلوا في الرجاء» في أنه نفسه يري ضرورة أن يستعد كافة الكاثوليك لعام ألفين، بأن يضعوا أنفسهم في الجو الطقسي الخاص بهم والمسمي «مقدمات أعياد الميلاد» والتي تبدأ قبل الخامس والعشرين من شهر ديسمبر بأربعة أسابيع.

والخطاب في مجمله عبارة عن نداء لكافة الديانات المسيحية، وغير المسيحية لتشارك في هذا الاحتفال، إلى جانب كونه «مجاهرة بالعقيدة الكاثوليكية لتنصير الكافة، وفقاً لها» على حد قول إيلي مارشال في نفس جريدة لوفيجارو. وقد استقي الكاتب عبارة «المجاهرة» هذه من نفس الشكل الاحتفالي الذي خطط له البابا في إطار تمجيدي للثالوث ينتهي «بجمع عالمي للقربان»!!

والخطاب يقع في سبعين صحيفة، وهو موجه إلى كافة رجال الإكليروس بمختلف رتبهم، وإلى كافة الأتباع المدنيين بمناسبة الإعداد ليوبيل عام ألفين.

ويتكون هذا الخطاب الرسولي من خمسة أقسام، تتضمن تسعة وخمسين بنداً،

عناوينها كالآتي:

١- «يسوع المسيح هو نفسه بالأمس واليوم».

٢- يوبيل عام ألفين.

٣- الإعداد لليوبيل الكبير.

٤- الإعداد الفوري:

أ- المرحلة الأولى.

ب- المرحلة الثانية.

العام الأول: يسوع المسيح.

العام الثاني: الروح القدس.

العام الثالث: الله – الأب.

جـ- بغية الاحتفال.

٥- «يسوع المسيح هو نفسه...إلى الأبد».

ويتضمن القسم الأول ثمانية بنود، يوضح خلالها البابا: سر الثالوث ومساواة يسوع الأب، ومساواة الروح القدس ليسوع، وكيف أن «المسيح فادي العالم» هو الوسيط الوحيد بين الله والبشر (بند ٤).

لأن «المسيح هو الله حقاً، وهو إنسان حقاً، وهو سيد الكون وسيد التاريخ أيضاً، وهو البداية وهو النهاية» (بند ٥).

ذلك لأن السيد المسيح لا يتحدث إلى البشر باسم الله، مثال الأنبياء، وإنما هو الله نفسه، الذي يتحدث في كلمته الخالدة بعد أن تجسدت ، وهنا نلمس النقطة

الأساسية التي تفرق المسيحية عن الديانات الأخرى؛ التي لاح فيها منذ البداية بحث الإنسان عن الله. أما في المسيحية؛ فإن نقطة الانطلاق هي تجسد الكلمة وهنا لا يذهب الإنسان بحثاً عن الله، وإنما الله هو الذي أتي شخصيًّا للتحدث عن نفسه إلى الإنسان، كما يقولون، ليوضح له الطريق الذي سيسمح له بالوصول إليه.

وبهذه الصورة، فإن المسيح هو تحقيق لتطلع كافة ديانات العالم، ومن هنا فهو نهاية مطافها الوحيد والنهائي (بند ٦).

«وإن ديانة التجسد هي ديانة فداء العالم بفضل تضحية يسوع التي تتضمن الانتصار على الشر، وعلى الخطيئة، وعلى الموت نفسه» (بند ٧).

أما في القسم الثاني، الخاص بيوبيل عام ألفين ويتضمن ثمانية بنود أيضاً، فيحاول البابا الزج فيه بأكثر من نقطة لها مغزاها: فمن ناحية، يقوم بتعريف عبارة اليوبيل والتفرقة بين احتفال اليهود لها، وبين المعني الجديد الذي يضفيه عليها؛ وفي نفس الوقت يقوم بعملية تمهيد لاهوتية لمشروعه بإسقاط ديون العالم الثالث مقابل تنصيره، ومحاولة البرهنة ضمناً وبلباقة تناسب وكأنها تلقائية، على أن العهد الجديد يتضمن تشريعاً! وهنا يقول نيافته: «بخلاف تحرير العبيد في السنة السبتية فإن الشرع كان ينص على إسقاط كافة الديون وفقاً لمعايير محددة» (بند ١٢).

«وفي الإطار القانوني ارتسم بالتدريج مذهباً اجتماعيًّا، تطور فيما بعد بوضوح أكثر ابتداء من العهد الجديد» (بند ١٣).

ومن هنا يخرج البابا بأهمية هذه الألفية «لا بالنسبة للمسيحيين فحسب، وإنما بشكل غير مباشر للإنسانية بأسرها، نظراً للدور القيادي الذي مارسته المسيحية خلال هاتين الألفيتين.

ومما له مغزاه، أن التقويم يتم في كافة أنحاء العالم، اعتباراً من مجئ المسيح في

العالم: وهذا المجئ هو أيضاً مركز التقويم الأكثر استخداماً اليوم»(بند١٥).

ثم ينتهي هذا القسم برجاء توحيد كافة الكنائس من أجل الإعداد لهذا اليوبيل وتحقيق بنوده الاحتفالية، معتبراً سيادة التقويم الميلادي علامة إلهية على وجوب سيادة المسيحية ، وفرضها على العالم متناسيًا أن الاستعمار هو الذي فرضه قهراً وتغريباً!

ويدور القسم الثالث، الخاص بالإعداد لليوبيل الكبير ويقع في اثني عشر بنداً، بإضفاء شرعية إلهية على هذا الاحتفال، والتوسع في شرح وتبرير المجمع الفاتيكاني الثاني، مع إضفاء نفس الشرعية الإلهية عليه «لأنه متمركز حول سر المسيح ومنفتح على العالم» (بند ١٨).

وهنا يوضح البابا: أن كل أحداث القرن العشرين «وكل ما وقع طواله بوضوح، أكثر من أي وقت مضي أن العالم بحاجة إلى التطهر، وأنه بحاجة إلى الاهتداء إلى المسيحية» (بند ١٨).

أي إنه يرتبط بين الاحتفال بهذا اليوبيل وبين قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني بشكل لا انفصام فيه، أو كأن هذا اليوبيل يأتي تتويجاً لقرارات ذلك المجمع «الذي تمخض عن تكوين العديد من المجامع الكنسية العامة، والقارية، والمحلية، والقومية، والأبرشية، وكلها تدور حول الموضوع الأساسي للتبشير، بل والتبشير الجديد الذي تم إرساء قواعده في الخطاب الرسولي للبابا بولس السادس عام (١٩٧٥م) والمعنون «تبشير الإنجيل» الذي أصدره عقب الجمعية الثالثة العامة للمجمع الكنسي للأساقفة» (بند ٢١) وهو المجمع الخاص بتنصير العالم.

ثم يتناول البابا يوحنا بولس الثاني، جهود البابوية في روما باقتضاب، وكيف أنهم عملوا جميعاً وعلى التوالي للإعداد للاحتفال بهذا اليوبيل بصور مختلفة

متناسقة، وكيف أن البابا بولس الثاني عشر (١٩٣٩ - ١٩٥٨م) قد «أعطي توجيهات شديدة الوضوح حتى بالنسبة لإقامة النظام العالمي الجديد بعد إسقاط الأنسقة السياسية السابقة» (بند٢٢).

وفي البند (٢٧) يقول البابا: «من الصعب ألا نلحظ أن «العام المريمي» قد سبق عن قرب أحداث عام (١٩٨٩م) وهذه الأحداث لا يمكنها إلا أن تدهشنا باتساع مداها، وخاصة بسرعة سياقها، إذ إن أعوام الثمانينات قد انساقت، وهي مثقلة بخطر متزايد، عقب الحرب الباردة وسنة (١٩٨٩م) قد أتت بحل سلمي، اكتفي إن أمكن القول، بشكل منظور «عضوي» وعلى ضوء هذا الحل نشعر بأننا مدفوعون إلى الاعتراف بمعني نبوئي للخطاب الرسولي المعنون «الشئون الحديثة»: فما كتبه البابا ليون الثالث عشر عن الشيوعية قد تم تحقيقه، مثلما أوضحت ذلك في الخطاب الرسولي المعنون «السنة المائة» ومن الواضح أنه يمكننا القول فيما يتعلق بهذه الأحداث: إن يد الله الخفية كانت تعمل باهتمام أمومي: فهل يمكن لأم أن تنسي ابنها الصغير؟ (عن٤٩/ ١٥)».

الأمر الذي يوضح إلى أي مدي تتدخل الكنيسة الفاتيكانية في الشئون السياسية في بلدها فحسب وإنما في العالم أجمع.

وهذا «العام المريمي» الذي يشير إليه البابا كان بمثابة الغطاء الديني الذي قام به لإحياء الكنيسة الأرثوذكسية في الاتحاد السوفييتي، باختلاق ظهور العذراء ليبدو مخطط ضرب اليسار، وكأنه تم في شكل «تطور عضوي» تسانده ما يكتبونه من «نبوءات» في خطبهم الرسولية!! لذلك ينهي هذه الفقرة بالإشارة إلى يد الله الخفية و«اهتمامها الأمومي» وهي عبارة تشير ضمناً إلى: المرتبة التي قامت الكنيسة برفع السيدة مريم إليها في الخمسينيات ومساواتها «بالله الثلاثي» بما أنها أم إحدى

شخصياته الثلاث!!

ثم ينتقل البابا إلى ما بعد عام (١٩٨٩م)، أي بعد الأحداث التي ساهم فيها شخصياً لإسقاط الشيوعية، قائلاً: «غير أن المخاطر الجديدة التي لاحت بعد عام (١٩٨٩م) والتهديدات الجديدة الناجمة عنها، قد أوضحت خطر صحوة القوميات، مثلما هو واضح في أحداث البلقان، والمناطق القريبة، الأمر الذي يلزم الدول الأوروبية بمراجعة ضميرها والاعتراف بالغلط والأخطاء التاريخية في الحالات الاقتصادية والسياسية تجاه الأمم، التي قامت الإمبريالية في القرن الماضي وفي القرن الحالي: بنهب حقوقها بدأب» (بند ٢٧).

والغلط الذي يعنيه البابا هنا هو ترك بعض البلدان الأوروبية تقع في براثن اليسار السياسي والاقتصاد الاشتراكي.

أما فيما يتعلق بالإعداد الفوري لهذا اليوبيل، وهو موضوع القسم الرابع من هذا الخطاب الرسولي، ويقع في سبع وعشرين بنداً، فإن أول ما يتفوه به البابا هنا، هو ضرورة مراعاة إمكانية تنفيذ هذا المخطط الاحتفالي في كافة الكنائس المحلية، وبخاصة «تلك التي تعيش في ظروف شديدة الاختلاف» (بند ٢٩) أي في بلدان غير مسيحية.

لذلك يقوم بتقسيم الفترة الزمانية الباقية من القرن العشرين إلى مرحلتين، على أن تكون المرحلة الأولى: بمثابة إعداد الأتباع وتهيئتهم نفسيًّا بصورة عامة، ثم يتم التركيز بعد ذلك على المرحلة الثانية: وهي آخر ثلاث سنوات في القرن العشرين، «تخصص كلها للاحتفال بسر المسيح المنقذ أي بسر تكوينه الثلاثي» (بند ٣٠).

ويري البابا أن تتضمن المرحلة الأولى: الاعتراف بالأخطاء، والاهتداء، أي عملية المصالحة بين مختلف الكنائس واعتناقها لكاثوليكية روما.

وهنا يوضح البابا أنه «من المفيد أن تعتبر الكنيسة هذه الفترة من بداية الألفية الثالثة، وهي مدركة تماماً لكل ما عاشته طوال العشرة قرون الماضية، إذ أنه لا يمكنها أن تجتاز عتبة الألفية الجديدة، دون أن تحث أبناءها إلى التطهر، وذلك من خلال الندم على الأخطاء، والخيانات، والتناقضات، والتباطؤات، فالاعتراف بأخطاء الأمس تمثل: فعل أمانة وشجاعة، يساعدنا على تقوية إيماننا، ويجعلنا نتبصر إغراءات ومصاعب اليوم، ويساعدنا على مواجهتها» (بند ٣٣).

ويعني البابا بأهم هذه الأخطاء «تلك التي أدت إلى المساس بالوحدة التي أرادها الله لشعبه» (بند ٣٤).

والتمزقات التي تعرضت لها صفوف الإكليروس «التي تمثل فضيحة في نظر العالم» (بند ٣٤).

ومنها «الموافقة – التي تمت بخاصة في بعض القرون – لاستخدام أساليب التعصب بل والعنف في خدمة الحقيقة» (بند ٣٥).

ولكي ينصف الحكم على التاريخ يحدد البابا: «إنه يجب أن نأخذ في الاعتبار، الظروف الثقافية السائدة آنذاك، فقد اعتقد الكثيرون بكل صدق، تحت تأثيرها، أن الولاء الصادق للحقيقة هو إخراس رأي الآخر أو على الأقل تهميشه» (بند ٣٥).

ثم ينتقل البابا إلى أخطاء الحاضر ومنها: عدم المبالاة الدينية، وضياع مفهوم تعالي الحياة البشرية وتصعيدها، والتخبط في المجال الأخلاقي حتى فيما يتعلق بالقيم الأساسية واحترام الحياة واحترام الأسرة، لذلك يري أنه «يتعين على الأتباع مراجعة مدي تأثرهم بالعلمانية والدنيوية والنسبية الأخلاقية» (بند٣٦).

وبخاصة: «أولئك الذين ينساقون إلى نوع من الديمقراطية ونوع من الاجتماعية التي لا تحترم الرؤية الكاثوليكية للكنيسة، ولا أصالة روح مجمع الفاتيكان الثاني»

(بند٣٦).

وينتهي هذا الجزء بضرورة إقامة مجامع كنسية أسقفية قارية، من قبيل المجمعين اللذين أقيما في روما بشأن كل من أوروبا وإفريقيا، على أن يخصص واحد للأمريكتين، حول عملية التبشير الجديدة، وآخر حول آسيا التي تطرح فيها بصورة أكثر إلحاحاً عملية لقاء المسيحية مع الثقافات والديانات المحلية الشديدة القدم. الأمر الذي يمثل تحدياً كبيراً بالنسبة لعملية التبشير لأن الأنسقة الدينية، مثال: البوذية، والهندية، ذات طابع مشابه للمسيحية، إذ أنها تعتمد أيضاً على فكرة «منقذ» (بند ٣٨).

وهنا يؤكد البابا: إنه لمن الأمور الشديدة الإلحاح أن يتم انعقاد مجمع كنسي بمناسبة اليوبيل الكبير، لتوضيح وتعميق المذهب الخاص بالمسيح؛ الذي هو الوسيط الوحيد بين الله والبشر والمخلص الوحيد للعالم، مع تمييزه تماماً عن مؤسسي الديانات الكبرى الأخرى، والتي نجد فيها – رغم ذلك – بعض عناصر من الحقيقة، والتي تنظر إليها الكنيسة باحترام صادق، إذ تري فيها انعكاساً للحقيقة التي تنير كافة البشر (بند ٣٨)، أي الحقيقة المسيحية.

كما يطالب البابا بانعقاد مجمع كنسي أسقفي آخر خاص بالمنطقة الأقيانوسية «حيث يجب عدم إهمال موضوع لقاء المسيحية مع تلك الأشكال الشديدة القدم من التدين والمتميزة باتجاه وحدوي، الأمر الذي له مغزاه الشديد» (بند ٣٨) ويقصد بها الديانة البوذية أساساً: القائمة أيضاً على فكرة الفداء.

أما المرحلة الثانية لهذا المخطط، والتي تأتي بعد ما أطلق عليه تهيئة المناخ العام، فيري البابا: أن تمتد على ثلاث سنوات، من (١٩٩٧ إلى ١٩٩٩م) «على أن تكون البنية الموضوعية لهذه السنوات الثلاث متمركزة حول المسيح، ابن الله وقد تجسد بشراً، وهو احتفال لا يمكن أن يكون لاهوتياً، أي متعلقاً بالثالوث» (بند ٣٩) على

الطريقة الكاثوليكية.

فالعام الأول (١٩٩٧م) سيخصص للتأمل حول السيد المسيح، ويري البابا: أنه لابد من التأكيد هنا على إبراز الطابع الشديد للمسيحية لليوبيل، الذي سيحتفل بسر الخلاص لكافة البشر: «يسوع، المسيح، المنقذ الوحيد للعالم، بالأمس، واليوم، وإلى الأبد» (بند ٤٠).

مع العمل على «إعادة اكتشاف المسيح منقذاً ومبشراً» (بند ٤٠).

مع إحياء مضمون الأسرار السبعة للكنيسة، وبخاصة التعميد، الذي يمثل وفقاً لكتاب التعليم الديني الجديد (الذي أصدره البابا في ديسمبر ١٩٩٢م): «أساس التقارب بين كافة المسيحيين، وكذلك بين كل الذين لم يتقاربوا بعد كلية من الكنيسة الكاثوليكية» (بند ٤١) أي اليهود والمسلمين وإتباع الديانات العالمية الأخرى.

وينهي البابا (البند ٤٤) من القسم الرابع لمخططه قائلاً: «ومن قبيل الاهتمام بالواقعية، يجب عدم إغفال ضمير الأتباع فيما يتعلق بالأخطاء التي تمس شخص المسيح، مع توضيح المعارضات الواضحة ضده وضد الكنيسة بدقة» ولا يسع المجال هنا لتناول كل هذه المعارضات التي تمتد على مدي ألف عام.

والعام الثاني لهذا الاحتفال (١٩٩٨م) يكرسه البابا للروح القدس «بما أن سر التجسد قد تم بفضل الروح القدس المساوي للأب والابن» (بند ٤٤)

وهو عكس ما تؤمن به الكنائس الأرثوذكسية؛ ولم يفت البابا أن يوضح، أهمية الروح القدس في نظره، فهو الفارقليط الذي سيرسله الأب باسمي يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم (يوحنا ٢٦: ١٤) (بند٤٤).

لذلك يري البابا أنه يتعين على المسيحيين «أن يستعدوا لهذا اليوبيل بإحياء

رجائهم في المجئ النهائي لمملكة الرب...وذلك بإبراز قيم الرجاء الواضحة، في نهاية هذا القرن... والتي تتضح في التقدم الذي أحرزه العلم... والتزود بإحساس أكبر بالمسئولية حيال البيئة والجهود المبذولة لإقامة السلام والعدل في كل مكان تم اغتصابها المعقدة بين الشمال والجنوب في العالم...والعمل على وحدة كافة المسيحيين، والأهمية المضفاة على الحوار مع الديانات ومع الثقافة المعاصرة». (بند٤٦).

أما العام الثالث والأخير (١٩٩٩م) فسيخصص لتمجيد الأب الثلاثي التكوين، والعمل على إبراز قيمة المحبة والرحمة، خاصة وأن الطريق إلى العدالة والسلام في هذا العالم «تحفة العديد من الصراعات وعدم المساواة الاجتماعية والاقتصادية المتعددة الأشكال» (بند ٥١).

وبعد أن قام بالتمهيد للمرة الثانية لعدم المساواة الاقتصادية الناجمة عن الإمبريالية، ونهبها لموارد العالم الثالث، أو لأهل الجنوب أينما كانوا.

يري البابا أن تكون مناسبة اليوبيل هذه بمثابة «لحظة سانحة ليتم فيها التفكير إلى جانب أشياء أخرى – لم يفصح عنها نيافته – في تحقيق هام، إن لم يكن في إلغاء بالكامل للديون الدولية التي تثقل على العديد من الأمم بذلك سيمكن لليوبيل تقديم فرصة التأمل حول تحديات أخرى للعصر، من قبيل: صعوبات الحوار مع الثقافات المختلفة والمشكلات المرتبطة باحترام حقوق المرأة ونشر مفهوم الأسرة والزواج» (بند٥١).

ويوضح البابا في البند (٥٢) لهذا المخطط، المنشور السياسي أهم حقلي عمل يجب توليتهما عناية خاصة وهما «المواجهة مع العلمانية، والحوار مع الديانات الكبرى» وفيما يتعلق بالنطقة الأولي يجمعها في عبارة «أزمة الحضارة» كما هي

واضحة في الغرب المتقدم تقنياً، وإن كان أكثر افتقاراً نفسياً لنسيانه الله أو لتهميشه إياه.

أما فيما يتعلق بالحوار بين الأديان، فيري أن تتم مواصلة ذلك الحوار «وفقاً للتعليمات الشديدة الوضوح التي أملاها المجمع الفاتيكاني الثاني في بيان «في زماننا هذا» حول علاقات الكنيسة مع الديانات المسيحية» (بند ٥٣).

متمنياً إمكانية ترتيب لقاءات مع اليهود والمسلمين «في أماكن لها مغزاها بالنسبة للديانات الكبرى التوحيدية» (بند ٥٣).

لذلك يري «دراسة إمكانية عمل لقاءات تاريخية في بيت لحم، والقدس، وجبل موسي في سيناء، وهي أماكن ذات قيمة رمزية عالية، بغية تكثيف الحوار مع اليهود ومع أتباع الإسلام وأيضاً ترتيب لقاءات مع ممثلي الديانات الكبرى في العالم في مدن أخرى. مع الحرص دوماً على عدم إثارة عمليات سوء فهم خطيرة عند مجازفة محاولات التوحيد السهلة والمخادعة» (بند ٥٣).

وفيما يتعلق بالاحتفال الكبير فيري نيافته «أن يتم ذلك في آن واحد في كل من الأراضي المقدسة، وفي روما، وفي كافة الكنائس المحلية للعالم أجمع» (بند٥٥).

على أن تكون غاية الاحتفال هي : « تمجيد الثالوث» (بند٥٥).

وأن يقام في روما بهذه المناسبة «مؤتمر عام لسر القربان» (بند٥٥)...أي أن يكون عام ألفين؛ هو العام الدولي للقربان أو عام الخلاص للعالم أجمع كما أطلق عليه.

وينهي البابا خطابه، بالإشارة الخاطفة حول إنجازات الكنيسة فيما يتعلق بعمليات التنصير في العالم، موضحاً أنه على الرغم من انحسار المسيحية في الغرب إلا أنها تزدهر في كل من إفريقيا وآسيا، بفضل نشاط مبشريها، مؤكداً: «إن الكنيسة

ستواصل مهمتها التبشيرية فيا لمستقبل أيضاً، فالطابع التبشيري يمثل بالفعل جزءاً من طبيعتها» (بند ٥٧).

ومن بين التعليقات الشحيحة التي صدرت حول هذا الخطاب في الصحف الفرنسية، ما كتبه «هنري تانك» في جريدة لوموند (١٥/ ١١/ ١٩٩٤م) مشيراً إلى أن «إعدادات البابا لا تفتقر إلى الجرأة أو إلى التنسيق.... إذ يبدأ خطابه بتأمل طويل حول مغزى قيمة الزمان ليؤكد على سيادة المسيحية على كافة الديانات، ثم يتناول سر التجسيد- أي تجسد الله عز وجل في السيد المسيح-، وهو السر الذي يمثل ولد المسيح بالنسبة للمسيحيين. ويوضح البابا في هذا الجزء، كيف أن التراث الوارد بالعهد القديم بكله، يرمي إلى قضية انتظار «مسيح» وأن هذا المسيح في نظره هو «عيسى» الذي أتى منذ ألفي عام لإتمام هذه الرسالة، بغض الطرف عن دقة التواريخ، إذ إن التراث المسيحي يحدد مولده بخمسة أعوام أو أربعة، قبل التقويم الميلادي، وهناك من يعود به إلى العام التاسع أو السابع قبل نفس التقويم.

ويواصل هنري تانك، عرضه للخطاب الرسولي قائلاً: «ويقرأ المرء بحرج شديد أحياناً تلك الصفحات التي يقول فيها البابا: إن دخول الله في التاريخ البشري بمثابة تطلع، نجده في كل الديانات، إذ أن يسوع بالنسبة للمسيحيين هو الله وهو إنسان في آن واحد... وأن المسيح هو تحقيق تطلع كافة ديانات العالم، ومن هنا فهو نهاية مطافها الوحيد والنهائي»!

ولاشك في أن الحرج الذي يشعر به كاتب المقال، ناجم عن إلغاء نيافة البابا للديانات الأخرى بجرة قلم، التوحيدية منها وغير التوحيدية، كما أنه حرج ناجم عن كل ما يعرفه الكاتب من معلومات مؤكدة تشير إلى كل ما تم في المسيحية من تلاعب وتبديل، وتكفي عبارته القائلة: «وإن هذا «المسيح» في نظره هو «عيسى»

فالثابت تاريخيا أن إشارات العهد القديم تلك لم تكن تعني عيسى ابن مريم؛ وإنما تعني سيدنا محمداً ﷺ ويواصل الكاتب معلقاً على العبارة السابقة قائلاً: «إنه لا يشير إلى التراث التبشيري الذي هو خاص باليهودية، ولا للتراث الإسلامي الذي لا يري في يسوع سوي نبي من الأنبياء».

ثم يوجز عرض البابا لقضية «التجسد» هذه والتي يقول عنها: إنها تجعل من الإنسان «كائناً روحياً وخالداً أساساً، والتي تتميز بها الديانة المسيحية وحدها» قائلاً: «إن هذا الطابع الاحتكاري المضفي على التجسد المسيحي، لم يمنع البابا من رؤية منظور توحيدي لضم الكنائس، بأوسع معاني الكلمة، وهو منظور يشمل أيضاً على العقائد اليهودية، والإسلامية والشرقية، التي ينوي البابا يوحنا بولس الثاني، أن يضمها للاحتفالات التي يعلن عنها بمناسبة بداية الألفية الثالثة للمسيحية بل إنها المحور الأساسي لهذا الخطاب الأخير».

ثم يتعرض الكاتب هنري تانك إلى الانقسامات التي اتسمت بها الألفية الحالية، والتي أوضح البابا أنها تشتمل على عدة قضايا منها التمزقات المؤلمة التي عرفتها جماعة الإكليروس. وهي انقسامات تتناقض صراحة مع إرادة المسيح، وتمثل فضيحة في نظر العالم، إلا أن هذه الأخطاء المتعلقة بالماضي مازالت ترمي بثقلها للأسف لذلك من الضروري أن نقر بالذنوب ونعترف بها جهاراً، مستجدين غفران المسيح بقوة...لأن الكنيسة لا يمكنها أن تجتاز عتبة الألفية الجديدة، دون أن تحث أبناءها على التطهير من خلال الندم على الأخطاء والخلافات والتنافرات والتباطؤات، غير أن الكاتب يوضح قائلاً: «إن البابا لا يشير في هذا الجزء من الخطاب إلى الجرائم التي وقعت باسم محاكم التفتيش الكاثوليكية أو عن طريق التنصير الإجباري» ولا إلى «الحروب الدينية المسيحية» ولا إلى «مذابح الهنود الحمر

على أيدي المبشرين (الكاثوليك) ولا إلى «مذابح اليهود التي لم يشر إليها بكلمة أيضاً» الأمر الذي يلطخ الكنيسة وتعصبها بما يصعب اغتفاره على مر التاريخ في نظر هنري تانك... وهي جرائم نضيف إليها مذابح المسلمين، التي لم يشر إليها لا البابا، ولا الذين تناولوا التعليق على خطابه، لكي لا نقول شيئاً عن مذابح الإسلام الدائرة في كل مكان ولا عن ما عاناه المسلمون من محاولات، لاقتلاعهم بالقتل، أو بالتنصير، منذ الحروب الصليبية المختلفة حتى يومنا هذا. إلا أن البابا على ما يبدو لا يهتم سوي بما دار من قبل الآخرين من مجازر، متناسياً ما قام به التعصب الكاثوليكي منذ بداية مشواره.

ومن اللافت للنظر – من حيث القدرة على بتر الحقائق والمجاهرة بعكسها – أن يدعم البابا كل هذه الجرائم في عبارة مقتضبة مغلفة تقول: «لا يمكننا ألا نأخذ في الاعتبار الظروف الثقافية التي سادت آنذاك»...مجرد ظروف ثقافية!.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن الأخطاء والجرائم التي يتحدث عنها البابا تعني: ما قامت به المذاهب والطوائف المسيحية الأخرى في حق الكاثوليكية التي يترأسها، لذلك يطالبهم بالمجاهرة بأخطائهم، وبجرائمهم في حق الكنيسة الأم، حتى يمكن جمع شملها... وهو ما دفعه إلى توضيح: «إن أفضل إعداد لاحتفالات انقضاء ألفي عام لا يمكن أن يتم التعبير عنها، إلا بتجديد الوعد بالالتزام بتطبيق تعاليم مجمع الفاتيكان الثاني على حياة كل فرد وعلى كل كنيسة».

وقد شرع البابا بالفعل في عملية إدماج الكنائس – بغض الطرف عن خلافاتها العقيدية الجذرية التي لم تحل – وذلك باتخاذ إجراءات إعادة صياغة قوائم الشهداء وسائر القديسين لمختلف الطوائف المسيحية الأساسية في قائمة واحدة، من أجل حث خطي تنفيذ عملية الكنيسة العالمية الموحدة، على أن تتضمن القائمة شهداء

الكاثوليك، والأرثوذكس ، والأنجليكان ، والبروستانت؛ لأن «توحيد القديسين والشهداء – في نظر البابا – قد يكون أكثر إقناعاً في التقريب بين الكنائس».

وفي نهاية هذا العرض الخاطف للخطة الخمسية للبابا يوحنا بولس الثاني، وهي خطة ملزمة لكافة السياسيين المسيحيين ولكافة الكنائس، بحكم عقيدة الإيمان وبحكم القانون الكنسي وشرائعه، وقبل الرد على بعض أهم النقاط الواردة به، لا يسعنا إلا أن نبدأ بالتساؤل حول ذلك المغزي الكبير وغير المعلن «لعام بأسره عن «القربان» والذي تسبقه عملية إسقاط هامة للديون الدولية التي تثقل على مصير العديد من الدول، إن لم يكن إسقاطاً كاملاً لها؟! تري هل سيتم إسقاط ديون العالم الثالث في الأعوام القليلة القادمة شريطة تنصيره، أو ثمناً له، والاحتفال بعد ذلك بابتلاع القربان تدشينا لذلك التنصير المدفوع الأجر؟!

وإذا ما حاولنا استخلاص أهم النقاط الواردة في هذا الخطاب الرسولي، سنجد أنها تتعلق بالموضوعات التالية: الإنجيل. الكاثوليكية يسوع توحيد الكنائس واقتلاع الديانات الأخرى. الانقسامات وضرورة الاعتراف بالأخطاء من أجل إقرار الحقيقة مجمع الفاتيكان الثاني.

وعبارة «الحقيقة» من أهم العبارات التي يستخدمها البابا يوحنا بولس الثاني في أحاديثه وخطبه... تلك الحقيقة التي وصل ولعه بها، وإيمانه بأهميتها إلى درجة جعلته يفرد لها خطابًا رسوليًا بأسره، صدر في شهر أكتوبر عام (١٩٩٣م) بعنوان «روعة الحقيقة».

والحقيقة رائعة... رائعة ولا شك في روعتها رغم كل ما تسببه من آلام ومعاناة أحياناً... وهي لا تفرض نفسها إلا بقوة ما تحمله من حقائق – كما أوضح البابا في مكان ما بخطابه هذا – إلا أن «الحقيقة» القائمة على الزيف والتحريف وطمس

الحقائق التاريخية المعاشة تختلف عن الحقيقة الحقة.

وبما أن البابا لا يتناول، بل ولا ينظر إلا إلى نوع واحد من «الحقيقة» فقد رأينا أن نعرض لبعض الحقائق التي تعمد «إخراسها» أو «تهميشها» كما يقول عن الآخرين.

ولكي نضرب مثالاً لما نعنيه، نورد تلك العبارة التي قالها البابا عن الأخطاء السالفة للكنائس الأخرى: «لا يمكننا إلا أن نأخذ في الاعتبار الظروف الثقافية التي سادت آنذاك» والقارئ العادي لهذه العبارة لا يري فيها سوي المنطق السليم المحايد، غير أنه إذا ما قرأ ما أورده هنري تانك في عرضه للخطاب، وكل ما سرده من جرائم قامت بها الأيادي العابثة في الكاثوليكية على مر العصور، لتغير موقفه.

وإذا ما حاولنا اتباع نفس المنهج في عرض الجانب الآخر من الحقائق لأهم النقاط الواردة بها الخطاب الرسولي، أو بهذه الخطة الخمسية للبابا، لوجدنا صورة فظيعة نذكرها فيما يلي، إلا أننا نبدأ بفقرة مقتضبة حول الثالوث الذي يقام عليه الاحتفال برمته لنوضح:

إن الثالوث لم يرد ذكره إطلاقاً في الكتاب المقدس بعهديه، وإن عبارة عن رمز ثم نسجه على مر الأيام، وإن المسيحيين لم يعرفوا عبارة التثليث قبل نهاية القرن الثاني الميلادي. وإن أقدم استخدام لها وارد عند تيوفيلس الإنطاكي في كتابه المعنون: «إلى أوتوليكوس» وقد أدي هذا التحريف الثلاثي لله سبحانه وتعالي إلى العديد من الانقسامات حتى بعد تثبيته رسمياً، أو إجبارياً في مجامع القرن الميلادي الرابع وهو محاولة للمزج بين تعاليم المسيحية كما أتي بها السيد المسيح، وبين الديانة الهالينية، التي هي امتداد للديانة المصرية القديمة. وذلك بغية اكتساب أكبر قدر من الأتباع. وهي نفس العملية التي يحاول البابا القيام بها وتغافله الخلافات الحقيقية بغية تنصير العالم بأي ثمن وبأية وسيلة!.

الإنجيل: من المعترف به يقينا أن الأناجيل المتداولة، حالياً، قد تمت كتابتها بعد وفاة السيد المسيح بفترات، مازال الاختلاف دائراً حول طولها؛ إلا أن الاختلافات العقيدية الشديدة الوضوح بينها، والإشارة في بعضها إلى واقعة استيلاء الرومان على مدينة «القدس» آنذاك، لدليل قاطع على أنها قد صيغت بعد عام سبعين ميلادية، دون أن نذكر شيئاً عن كل ما اعتراها من تغيير وتبديل ما زال يتم من طبعة لأخرى. إلا أن ما نود التأكيد عليه هو: أنها قطعاً ليست «الإنجيل الذي عرضه يسوع في المعبد اليهودي» وبالتالي فلا يمكنها أن تكون «رسالة تحرير لكافة شعوب العالم» كما يقول نيافة البابا!

الكاثوليكية: تشهد الوقائع التاريخية المعاشة بأن ما قام به التيار العابث المتعصب في الكاثوليكية هو الذي أدي إلى الخلافات العقيدية الجذرية بين الكنائس، وإلي انقسامها إلى مذاهب متباينة متناحرة. وقد قام نفس هذا التيار العابث بفرض عبارة «هرطقة» على كافة هذه المذاهب المسيحية المنشقة عليه، بل وعلى الديانات الأخرى وبخاصة الإسلام الذي أتي كاشفًا، ومصوبًا لكل ما تم من تحريف أساسي في المسيحية، وجرفها بعيداً عن مسارها التوحيدي المنزل.

والتاريخ المعروف، المعاش يقول: إن رسالة التوحيد نزلت على موسى عليه السلام تشريعاً دنيويًا وأخرويًا، وإنه حينما انحرف اليهود عن مسارهم، أتي السيد المسيح عليه السلام، مصوباً لهذا الانحراف فحسب، فهو القائل: «ما جئت لأنقض الناموس وإنما جئت من أجل خراف إسرائيل الضالة».

لذلك أتت المسيحية خالية من أي تشريع ؛ لأنها استمرار لنفس الناموس التوحيدي السابق، ولم تتضمن سوي توجيهات إنسانية لتلك «الخراف الضالة».

وحينما أصرت هذه «الخراف» على انحرافها وضلالها وتمادت فيه وفي تحريف

رسالة التوحيد وشرائعها، أتي سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام مصوبًا لما ألم بالرسالة، وأنزل الله سبحانه وتعالي القرآن؛ تشريعاً، دنيويًا وأخرويًا؛ لكل زمان ومكان ذلك لأنه يتضمن أكثر من خمسمائة حكم من الأحكام المطلقة.

والحكم المطلق هو الذي يمكن القياس عليه مجرداً، في أي زمان وفي أي مكان فكيف يطالعنا البابا زاعماً «سيادة المسيحية على كافة الديانات» وكيف يجاهر بسيادة الكاثوليكية التي يترأسها ويسعي لتنصير العالم وفقاً لها؟!

يسوع: تقوم المسيحية الحالية على اعتبار أن الله عز وجل هو السيد المسيح، وهو نفس ما يواصل البابا على تأكيده، بل يصل به التعنت إلى درجة اعتبار «أن السيد المسيح هو تحقيق لتطلع كافة ديانات العالم وهو نهاية مطافها الوحيد والنهائي» كما يقول في خطابه الأخير موضوع هذا البحث.

ولا يسع المجال هنا، لعرض كافة الوثائق الدالة على أن السيد المسيح عليه السلام كان نبياً من أنبياء الله المرسلين وبخاصة مخطوطات قمران، أو البحْر الميت المكتشفة عام (١٩٤٨م) ولن نستشهد بآيات القرآن الكريم، التي تؤكد ذلك، وإنما سنكتفي ببعض كلمات السيد المسيح نفسه كما هي واردة في الأناجيل الرسمية المتداولة حالياً، حيث نراه يفرق بوضوح لا لبس فيه بينه وبين الله سبحانه وتعالي:

«...فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد» (مرقس ١٢: ٢٩).

«..... لماذا يدعوني صالحاً، ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله» (متى ١٦: ١٩).

«.....اذهبي إلى إخوتي، وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم» (يوحنا ٢٠: ١٧).

«....قلت: أمضي إلى الأب، لأن أبي أعظم منى» (يوحنا ١٤: ٢٨).

«....لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد» (متى ٤: ١٠).

«...ولا تدعوا لكم أباً على الأرض، لأن أباكم واحد الذي في السماوات)، (متى ٢٣: ٩).

«....أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله» (يوحنا ٨: ٤٠).

«...والكلام الذي تسمعونه ليس لي ، بل للأب الذي أرسلني» (يوحنا١٤: ٢٤).

كما أن هناك آيات للحواريين تدل بما لا يدع مجالاً للشك بأن السيد المسيح عليه السلام كان نبيًّا من الأنبياء، ومنها:

«...هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل» (متى ١١: ٢١).

«قد قام فينا نبي عظيم» (لوقا ٧: ١٦).

«....إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم» يوحنا ٦: ١٤).

«يسوع الناصري الذي كان إنساناً نبياً مقتدراً في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعوب» (لوقا ٢٤: ١٩)

وهنا لا يسعنا إلا أن نتساءل أيهما نصدق: السيد المسيح الذي تحدث بوضوح لا لبس فيه، أم نيافة البابا الذي يواصل عملية فرض ما تم نسجه على مر الأيام، لاستبعاد النبوة عن سيدنا محمد عليه السلام ومواصلة محاولة اقتلاع الإسلام التي بدأت منذ بداية انتشاره؟!

المنظور التوحيدي: تعد عملية توحيد الكنائس، تحت لواء كاثوليكية روما، من الملامح التي يتمسك بها محركو هذا التيار، منذ استيلائهم على السلطة في القرون الأولي للمسيحية، غير أنه أصبح من القرارات الأساسية للكنيسة، منذ المجمع

المسكوني الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢- ١٩٦٥م) ذلك المجمع الذي قرر رفع عبارة «هرطقة» عن الكنائس الأخرى واعتبارها كنائس لإخوة منشقين« كما قام بإطلاق عبارة «الإخوة السابقين إلى الإيمان» على اليهود بعد تبرئتهم من دم السيد المسيح، كما يقولون، وبعد أن ظلت الكنائس تردد ذلك في كل قداس من أيام الأحد على مدي ألفي عام تقريباً. وتمت المصالحة الشكلية السياسية، إذ إن المصالحة العقيدية – والمفروض أنها الأساس – متوقفة على اعتراف اليهود بالسيد المسيح إلهاً. الأمر الذي يرفضه اليهود جهاراً إذ إنه يعني تنصير كافة يهود العالم بكلمة واحدة!!

فكيف يتغاضي نيافة البابا يوحنا بولس الثاني عن كل هذه الحقائق المعاشة، ويصر على «إخراس» أو «تهميش» كل هذه الخلافات العقيدية الجذرية بين المذاهب المسيحية بعضها بعضاً وبين المسيحية واليهودية، إلى جانب إصراره على إلغاء وجود الإسلام والديانات العالمية الأخرى لتوحيد شعوب العالم تحت لواء الكاثوليكية التي يترأسها؟!

الانقسامات: إن الانقسامات التي أشار إليها البابا على أنها «تمثل فضيحة في نظر العالم» لا تمثل مجرد خلافات يمكن دمجها تحت عبارة شاملة واحدة، وإنما هي تصدعات عميقة ألمت بذلك البنيان القائم على التحريف؛ وهي تصدعات ناتجة اختصاراً لنفس الشكل الحالي للعقيدة والثالوث الذي لم يعد مقنعاً للأتباع الأمر الذي دفع الكنيسة الهولندية – وهي الكاثوليكية أيضاً – إلى إصدار كتاب للتعليم الديني عام (١٩٦٦م) غير ذلك الذي كان سائداً منذ القرن السادس عشر، لم تورد به ذكر عقيدة الإيمان ولا عبارة الثالوث فقام البابا يوحنا بولس الثاني بإصدار كتاب جديد للتعليم الديني، في أواخر شهر ديسمبر عام (١٩٩٢م) يؤكد فيه تمسك الفاتيكان بموقفه وإصراره على إبقاء العقيدة كما تم نسجها بدءاً بتأليه السيد المسيح

في مجمع نيقيه الأول عام (٣٢٥) ميلادية وكل ما ترتب عليه من إضافات وتبديل.

ولا يسع المجال هنا لتناول مختلف موضوعات الانقسامات والتي دفعت بالآلاف من رجال الإكليروس إلى الابتعاد عن الكنيسة وتحكماتها القمعية، وقد أثر العديد منهم مواصلة صلواتهم بعيداً عن قبضتها، حتى أصبح اليوم في الغرب ما يطلق عليه «الكنائس المنزلية».

وكل هذا الموقف برمته لا يمثل فضيحة في نظر العالم، وإنما هو تعصب أكمه أصم لا يري ولا يسمع... أما الفضيحة الحقيقية، بكل ما تحمله من فجاج في الخروج على تعاليم الله سبحانه وتعالي هي مواصلة الإصرار بدأب، لا لفرض هذا التعصب على المسيحيين فحسب، وإنما على العالم بأسره!!

الاعتراف بالأخطاء: لا شك في أن الاعتراف بالحق فضيلة...وإن يطالب البابا الكنائس بإقرار ذنوبها والاعتراف بها، ويحث أبناءها على «التطهر من خلال الندم على الأخطاء والخيانات والتنافرات والتباطؤات» تعد من الفضائل التي تحسب له؛ غير أن ما يعنيه نيافته، هو أن تقوم الكنائس الأخرى بإقرار ذنوبها التي اقترفتها في حق الكنيسة الكاثوليكية، والأخطاء التي اقترفوها بالانشقاق عليها، والخيانات التي قاموا بها بالابتعاد عنها، أو النفور منها، وكشف خباياها، والتباطؤ الشديد في الرجوع إليها، إلى حصن الفاتيكان الأوحد والوحيد.

وهنا لا يسعنا إلا أن نطرح سؤالاً: أليس من الأفضل والأكرم للجميع، أن تبدأ الكنيسة الأم بضرب المثل، القدوة على «الأمانة والشجاعة» التي تطالب بها الكنائس الأخرى، وتعترف بكل ما قامت به الأيادي العابثة المتعصبة على مر التاريخ؟! أليس من الأفضل والأكرم، لنيافة البابا الذي يتغني بالحقيقة وبروعتها، أن يبدأ هو بتطبيق معاييرها، والاعتراف بكل ما أدي إلى حيود المسيحية الحقة عن مصادرها المنزل، وعن

رسالتها التوحيدية التي لا تعبد إلا الله وحده لا شريك له، كما قال عيس ابن مريم وكما نص القرآن؟! أليست الحقيقة أروع وأصدق من التمسك بقرارات مجمع الفاتيكان الثاني الهجومية المتعصبة على التحريف والتنزييف؟

مجمع الفاتيكان الثاني (١٩٦٢ – ١٩٦٥م): اتسم هذا المجمع بأنه أول مجمع هجومي في تاريخ المجامع، إذ إن المجامع المسكونية السابقة كانت تقام لتثبيت تحريف جديد أو للدفاع عنه، وقد صدرت عن هذا المجمع الفاتيكاني الثاني، قرارات لا سابق لها في التاريخ الكنسي بأسره، ومنها: توحيد كافة الكنائس تحت لواء كاثوليكية روما؛ واعتبار المسيحيين شعب الله المختار – بدلاً من اليهود – بناء على العهد الجديد الذي أقامه بولس الرسول؛ وأن المسيح فادى العالم بأسره، وليس فردياً لاتباع المسيحية وحدهم، كما كانوا يقولون من قبل، وفرض قسم محاربة الحداثة على كافة رجال الإكليروس، أي عدم السماح لهم بمساس النصوص الإنجيلية والإبقاء على كل ما تم بها من تغيير وتحريف؛ وتبرأة اليهود من دم المسيح (كما يقولون) وهي تبرأة سياسية بحتة لتوحيد الجبهة ضد الإسلام واستتباب الوضع في فلسطين المحتلة لتأكيد غرض الكيان الصهيوني، وذلك رغم كل ما هو وارد ضد اليهود في العهد الجديد من الإنجيل، حتى إن بعض الآيات أصبح من المحال قراءتها في أي قداس لتناقضها مع ما اقترفوه سياسياً بهذا الاعتراف.

ومن قرارات المجمع أيضاً: توصيل الإنجيل إلى كافة البشر، استناداً إلى القرار السابق، والخاص بتعميم عملية الفداء التي لا أثر لها في الإنجيل والاستعانة بالمدنيين والعلمانيين في عمليات التبشير من خلال المنظمات غير الحكومية، إلى جانب مئات المنظمات التابعة للكنيسة مباشرة لتوصيل الإنجيل إلى العالم، وهو المقصود بعبارة «انفتاح الكنيسة على العالم» وإعادة تبشير مسيحي الكتلة الشرقية

وملحدي الغرب، بالإضافة إلى اقتلاع الديانات الأخرى وبخاصة الإسلام، الذي مازالت الكنيسة تصر على طمس الوثائق التي تثبت لديهم أنه أتي مصوباً ومكملاً للديانة التوحيدية التي تم تحريفها. الأمر الذي جعل البابا يستشهد بأية الفارقليط التي سنتناولها عقب هذه النقطة؛ كما نص المجمع على: أن تتم عمليات التبشير هذه واقتلاع الديانات الأخرى عن طريق الحوار بغية تجنب أية مصادمات، وهي أول مرة تستخدم فيها عبارة «الحوار» في المجال الكنسي؛ والاستعانة بكافة الكنائس المحلية لإتمام عملية تنصير العالم.

وهنا ندرك ما معني مطالبة البابا في خطابه الرسولي هذا «بتجديد الوعد بالتزام كل فرد وكل كنيسة بقوانين المجمع الفاتيكاني الثاني». كما ندرك ما قد تم فرضه على الكنائس المحلية الأمر الذي يعني: أن كافة المسلمين، أينما كانوا، وسواء أكانوا يمثلون أغلبية البلد الذي يعيشون فيه، أم هم أقلية فيه، فهم بلا شك خاضعون الآن لعملية تنصير «بصبر ودأب» على حد قول البابا في العديد من خطبه، وإن كانت تتم اعتماداً على التسلل البطئ وعدم المواجهة الصريحة.

ولا يسعنا هنا إلا أن نسأل نيافة البابا عن الصدق والأمانة في الحوار المزعوم والذي يعني «تنصير العالم» كما قالها بصريح العبارة في الخطاب الذي أشار إليه!.

الفارقليط: يستخدم البابا عبارة «الفارقليط» الواردة في إنجيل يوحنا أكثر من مرة بمعناها المحرف إلى «الروح القدس» فالكلمة أصلاً كانت Perikleitos وتعني «أحمد» وهي الواردة في إنجيل برنابا أيضاً والذي تم استبعاده، وقد تم تحريف الكلمة إلى Paraklytos لتعني «المعزي» أو «المواسي» لاستبعاد النبوة عن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ونورد بهذا الصدد سوي عبارة الأسقف «بنيامين كلداني» الذي أسلم من جراء هذا التحريف قائلاً: «أتحدي بجسارة كافة الباحثين

الضالعين في اللغة اليونانية القديمة، أن يعارضوني عندما أعلن أن مترجمي النص السرياني واللاتيني، قاموا بأخطاء فادحة في ترجمتهم (محمد في الإنجيل، ص١٤٦) وهي صيغة مهذبة لكي لا يقول «قد تم تحريفها».

وقد كانت تكتب (فارقليط) بالعربية ثم تم تغييرها إلى معز أو مواس.

وإذا ما حاولنا اختصار كل ما تقدم من عرض لهذا الخطاب الرسولي، الأخير للبابا، والصادر يوم (١٤/ ١١/ ١٩٩٤م) إلى محاوره الأساسية لخرجنا بالنقاط الثلاث التالية:

١- غاية الاحتفال: تمجيد الثالوث وفرضه على العالم.

٢- مغزاه: إسقاط ديون العالم الثالث ثمنا لتنصيره.

٣- أهم حقلي عمل أمام الكنيسة في الفترة القادمة:

أ- المواجهة مع العلمانية.

ب- الحوار مع الديانات، وبخاصة الإسلام (والحوار في مفهوم البابا يعني التنصير)

وبعد هذا الوضوح الذي لا مواربة فيه، في هذه الخطة الخمسية للبابا بغية تنصير العالم، والقيام بجولة «لها مغزاها، كما يقول في اقتفاء أثر مؤسس المسيحية كما يراها «إبراهيم وموسي وعيسي» تبدأ من مصر وسيناء إلى القدس، في فلسطين المحتلة؛ وإصراره الغريب على مشاركة «اليهود وأتباع الإسلام» وقد عز على نيافته كتابة «المسلمين» مثلما كتب «اليهود» وكأنه لا يعتبر للمسلمين وجوداً. أهذا الحد يصعب عليه أن يقول عنا: «الإخوة الذين عادوا بالتوحيد إلى مصادره»؟ ولا يسعنا إلا أن نقول لنيافة البابا: إننا كمسلمين نؤمن بعيسى ابن مريم عليه السلام نبيًّا من أنبياء

الله المرسلين: كما هو وارد بالقرآن وكما قال السيد المسيح عن نفسه.

وإننا لا نعاني من عقدة الخطيئة التي تفرض الكنيسة توارثها تبريراً لوجودها، فالقرآن يقول لنا: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء:١٥] وبالتالي فلسنا بحاجة إلى من «يفدينا» أو يخلصنا من هذه الخطيئة كما يحرم علينا القرآن قبول فكرة التثليث، وما أكثر الآيات التي يقول الله فيها: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص]. ولسنا بحاجة إلى وسيط بيننا وبين الله عز وجل، فقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نعبده وحده وأن نخلص له الدين، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة:٥]، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وفي ختام هذا العرض الموجز لمخطط مرير، رخيص، مهين رغم جرأته وتنسيقه؛ مخطط يرمي إلى فرض تنصير العالم في احتفال عالمي مهيب، عبارة عن قداس قرباني تمجيداً للثالوث.

فالمقصود من هذا التواجد هو «كسر الحاجز» الذي بين الديانات، كما يقول البابا، والذي يري أن ذلك قد تم بالفعل في الصلاة «الجماعية» التي دعي إليها من «أجل الإسلام العالمي» وأقيمت في بلدة أسيز بإيطاليا في (٢٧/ ١٠/ ١٩٨) وحضرها مندوبون من كافة المذاهب المسيحية، ومن كافة الديانات العالمية الأخرى، كما تم كسر نفس الحاجز في الصلاة «الجماعية» العالمية الثانية التي دعي إليها وأقيمت عام (١٩٩٣م) من أجل السلام في البوسنة!

وهنا لا يسعنا إلا أن نقول لنيافة البابا: إن السلام في البوسنة ليس بحاجة إلى «صلاة» وإنما بحاجة إلى قرار حاسم لا تخاذل فيه لوقف المذبحة «العرقية، الدينية»

الدائرة ضد الإسلام والمسلمين، كما لا يسعنا إلا أن نتوجه لكافة المسئولين المسلمين، أينما كانوا، أن يكفوا عن التواطؤ في هذه المسرحية الدائرة منذ قرابة ثلاث سنوات، نظن أنها كانت كافية لكشف «حسن النوايا» الغرب المسيحي المتعصب.

موقف الفاتيكان من الإسلام

١- يستشهد البابا بجزء من البند الثالث من البيان الختامي للمجمع، والمسمي «في زماننا ها» (٢٨/ ١٠/ ١٩٦٥م) وهو البند المتعلق «بالدين الإسلامي» وهذا البند مكون من فقرتين تقعان في تسعة عشر سطراً. وتتناول الفقرة الأولي: تحديد معني الإسلام، وتطالب الفقرة الثانية: بنسيان العداوات والسعي إلى الفهم المتبادل.

وقد استعان البابا بالجملة الأولي لهذا البند غير أنه لم يكملها، وتقول بقية الجملة: «والذي تحدث إلى البشر»...وحذف البابا لهذا الجزء من الجملة، قد لا يدل على شيء في نظر القارئ، غير لو ربطنا هذا الموقف بالظروف المحيطة بصياغة هذا البند أيام المجمع، وكان نيافته من الأعضاء المشاركين الأساسيين، إذ كان بدرجة أسقف وفي منتصف الأربعينيات من عمره تقريباً، لأدركنا الجانب الآخر من موقفه، ومعني ما قام بحذفه.

ونبدأ بما يتضمنه كتاب «فاتيكان اثنين» الصادر عام (١٩٦٦م) عقب انتهاء المجمع ببضعة أشهر، والذي يتضمن الجلسات التمهيدية، ومحاضرها، وكيفية صياغة البيانات، والتصويت عليها أي: إنه من الكتب – إن لم يكن الكتاب الرسمي الخاص ببعض كواليس ذلك المجمع.

والجزء الخاص بالدين الإسلامي بقلم الأب «كاسبار» ويقع في ست وثلاثين صحيفة (من ٢٠١ إلى ٢٢٦) ومما يدعو إلى السخرية، أن نطالع في بداية هذا

البحث: «أن المجمع لم يتعرض لمشكلة الإسلام ولا لمشكلة الديانات غير المسيحية بصفة عامة، إلا خلال دورته الثانية (١٩٦٢م) وبشكل عرضي وغير متوقع، أي إنه لم يكن في الحسبان بل لقد هاله صمت ممثلي الكنائس الشرقية، وعدم قيامهم بالإشارة إلى الإسلام في اجتماعاتهم وكأنهم لا يعيشون في تواجد متواصل مع الإسلام والمسلمين»!

وبدأ الأب كاسبار بتوضيح الحذر الشديد في تناول قضية الإسلام، وكيف أن الأساقفة المسؤولين عن التبشير، لا يتحدثون عنه إلا فيما ندر، لأنهم يعتبرون «أن الإسلام خطأ مطلق لابد من رفضه، لأنه يمثل خطراً بالنسبة للكنيسة، ولابد من محاربته» (ص٢٠٢) ولقد أثيرت قضية الإسلام لأن البطريارك «ماكسيموس» الرابع أوضح أنه لا يمكن أن يتحدث المجمع عن اليهود، دون أن يتناول الديانات الأخرى وخاصة الإسلام.

ويوضح الأب كاسبار كيف جاءت صياغة الفقرة الأولي من البند الخاص بالإسلام: «وأبناء إسماعيل ليسوا غرباء أيضاً على الرسالة التي نزلت على الآباء، لأنهم يعترفون بإبراهيم كأب لهم ويؤمنون أيضاً برب إبراهيم» (ص٢٠٣) ... وكان النص يتضمن هامشاً يوضح أن «أبناء إسماعيل» هم المسلمون.

وعلى الرغم من قصر النص الذي أشاروا به إلى الإسلام، إلا أن الأب كاسبار، يوضح كيف أنه قوبل باعتراض جامح من أغلبية الحاضرين عند التصويت. وذلك اعتراضاً على أن تعبير: «ليسوا غرباء على الرسالة التي نزلت على الآباء، لأنهم يعترفون بإبراهيم كأب لهم ويؤمنون أيضاً برب إبراهيم» (ص٢٠٣)... وكان النص يتضمن هامشاً يوضح أن «أبناء إسماعيل» هم المسلمون.

وعلى الرغم من قصر النص الذي أشاروا به إلى الإسلام، إلا أن الأب كاسبار،

يوضح كيف أنه قوبل باعتراض جامح من أغلبية الحاضرين عند التصويت. وذلك اعتراضاً على أن تعبير: «ليسوا غرباء على الرسالة التي نزلت على الآباء» قد يفهم منها حل للمسائل الصعبة التي دار حولها الجدل طويلاً من قبل، أي: أن سلالة العرب من إسماعيل، وخاصة ربط الإسلام بالرسالة الإنجيلية، ولكي لا يبدو وكأن الله قد خاطبهم أيضاً» (ص٢٠٥).

وتم تعديل النص لاستبعاد الإشارة إلى أن العرب من سلالة إسماعيل، الابن البكر لإبراهيم، وبالتالي استبعاد قرابتهم السلفية لإبراهيم وللمسيحيين أصلاً، أو أنهم أبناء عمومة، واعترض البعض ثانية وأعيدت صياغة النص للمرة الثالثة بكل التحايلات الممكنة للحفاظ على ما فرضه معقل التعصب.

ويقول كاسبار عن التعديل الأخير: إنه يضع سيدنا إبراهيم «في موضع النموذج الذي يحتذي به المسلمون في إيمانهم لخضوعه لرغبة الله، ولا يضعه في أصل سلالتهم، ولا في موضع جدهم الأول، على عكس الصياغة الأولي، التي كانت تبدو تأكيداً لانحدار العرب من ابنه البكر المفدي «إسماعيل» وتأكيداً لشخصيته كما وصفها القرآن» (ص٢٠٢).

ويعلق الأب «ميشيل لولنج» على الصياغة الأخيرة قائلاً: «وهذه الأسطر الخاصة بالإسلام قد تبدو جد قليلة، بين النصوص المتعددة التي أقرها المجمع الفاتيكاني الثاني. لكن إذا ما قارناها بما كان عليه موقف المسيحية تجاه عقيدة المسلمين، ومجتمعاتهم طوال عدة قرون، لأدركنا أهمية هذه الوثيقة الرسمية ومدي الآفاق التي تفتحها بالنسبة للمستقبل»، «الكنيسة الكاثوليكية والإسلام» (١٩٩٣م، ص٢٨) وهو استشهاد لا ينتقد «بأدب» قصر نص البيان، وإنما يشير أيضاً إلى ما كان عليه موقف المسيحية من الإسلام والمسلمين طوال عدة قرون.

ولم نورد ما تقدم إلا لتوضيح أن معقل الفاتيكان، وكواليسه يعلم تماماً معني الإسلام وموقعه بالنسبة للمسيحية واليهودية، وموقفه منهما، وكيف أنه التنزيل المكمل للرسالة التوحيدية، وقد أتي مصوباً لما اقترف من تحريف ولا يدل حذف البابا يوحنا بولس الثاني لنهاية الجملة الأولي في استشهاده، إلا على مدي تعصبه، وإصراره على استبعاد حتى أن الله قد خاطب المسلمين أيضاً... وأنه قد خاطبهم بالطبع بالوحي إلى سيدنا محمد ﷺ، والذي يواصل البابا محاولة محو اسمه، أو تحريفه، كما سنري عما قليل.

٢- اختلاق البابا للمواقف

تكشف هذه الفقرة عن كيفية اختلاق البابا للمواقف، بغية الزج بعبارات تفي بغرضه.

فما العلاقة بين جماعة تشاهد، أو تتأمل رسومات جدارية، وعبارة «لا يوجد هنا أي شيء يصل إلى جمال ديننا التوحيدي المسلم»؟!

أولاً: إن صياغة نيافته للعبارة خطأ فما من مسلم يقول: «ديننا التوحيدي المسلم» وإنما نقول:« الإسلام» لأن الإسلام لفظ مطلق شامل، قائم على التوحيد المطلق. ولم يزج البابا بهذه العبارة في رده إلا ليبرز: «شعوره المسبق بما سيكون عليه ذلك الحوار بين المسيحية والإسلام» في الوقت الذي يقول فيه – قبل هذه العبارة ببضعة أسطر. إن ذلك الحدث وقع له «أيام شبابه»، أي عندما كان في العشرينيات من عمره، ولم تكن فكرة المجمع في الآفاق بعد، بل لم يكن نيافته قد دخل السلك الكنسي بعد!! ففي أيام المجمع كان في منتصف الأربعينيات، لأنه حالياً عند تأليف الكتاب، في الخامسة والسبعين من عمره.

ومن الواضح أنه لم يكتب هذه العبارة إلا لمحاولة الزج بتأكيده على فكرة

تعصب المسلمين وتعنتهم، وإن كان في واقع الأمر، قد قام بعملية إسقاط لتعصبه الصلد ضد الإسلام والمسلمين.

عدم فهم القرآن

تتضمن هذه الفقرة النقاط الأساسية التالية:

١- «سباق الاختزال» للوحي الإلهي المسيحي في القرآن.

٢- صدمة القارئ لمدي «عدم فهم القرآن لما قاله الله عن نفسه». وهذا الذي قاله الله عن نفسه ينقسم إلى شقين:

أ- ما قاله في العهد القديم عن طريق الأنبياء.

ب- وما قاله «بصورة نهائية عن طريق ابنه» (كما يقولون).

٣- إن الإسلام قد ترك جانبا هذا الثراء الخاص بالكشف الذاتي لله، والذي يمثل تراث الإنجيل بعهديه.

وهي نقاط تعني: أولاً: التشكيك في مصداقية القرآن، لعدم تضمنه «الحقائق» التي نسجتها الأيادي العابثة على مر الزمان، وصدمة القارئ لمدي عدم فهم القرآن للرسالة التي أتت أولاً: عن طريق الأنبياء في العهد القديم، ثم بصورة نهائية عن طريق ابنه (كما يقولون)، أي ليست بعدة أية رسالات أخرى؛ إذ أنها تتوقف عند السيد المسيح.

ولا يتسع المجال هنا لنعرض على نيافة البابا، كل ما يثبت مصداقية ألقرآن آية بآية، فما من حرف إلا وهو عين الصدق المنزل. ولن نستشهد سوي بآية واحدة، يقول فيها الله سبحانه وتعالي: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر].

ولسنا بحاجة إلى إضافة: لولا يقين الكنيسة بمصداقية القرآن الكريم، وصدق

تنزيله على النبي الأمي عليه الصلاة والسلام - لما ظلت تستميت في محاولاتها الدؤوب لاقتلاعه على مدي أربعة عشر قرناً، بكل ما لديها من ترسانة مؤججة!!

وحقنا لكل هذا الجهد المنبت، ولكل ما يتضمنه من شر، ندعو البابا هنا إلى تأمل الآية ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ والحافظون هذه تعني صيغة اسم فاعل من فعل مستقبل مطلق وذلك هو ما تؤمن به أمة الإسلام؛ لذلك هي لا تقوم بالرد على هجوم التعصب بمثل ما يفعل، وإنما تدافع عن كيانها بما بقي لديها من إمكانيات، وهي: الإيمان بالله سبحانه وتعالى وبكل حرف قاله.

ولا نود أن نضيف: ضرورة إطلاع البابا ما بخزائن وأقبية ودهاليز الأرشيف السري للفاتيكان الذي يرأسه، وليطالع ما يحتوي عليه من نصوص، تثبت الأباطيل التي يتزعمها ويقود الترويج لها، وهي نفس الدهاليز ونفس الأرشيف، الذي اكتشف فيها المجمع الشهير خطأ موقفهم بالنسبة لليهود، فسارعوا بتبرئتهم من دم المسيح، كما ظلوا يرددون على مدى ألفي عام.

وتكفي الإشارة إلى الحرص الشحيح، الذي تمت به صيغة بيان المجمع الخاص «بالدين الإسلامي» والذي أوضحنا شذرات منه منذ قليل وهو ما يكشف من ناحية: يقين معرفة الكنيسة بحقيقة الإسلام والقرآن، ويكشف من ناحية أخرى: دأبها الرخيص على طمس معالمه.

إن المرء ليصدم بالفعل، ويالهول الصدمة !! لا من عدم مصداقية القرآن، وإنما من كل ذلك الإصرار اللحوح على طمس معالم الحق ونوره، وفرض التلاعب والتحريف وهو ما يمثل المأساة الحقيقية للكنيسة تلك المأساة القائمة على فرض وغرس التحريف قهراً وقمعاً وقتلاً فكل التاريخ الدامي لكنيسة التعصب، على مدى ألفي عام يشهد بذلك وليس المجال هنا للإشارة إلى ما قامت به من مجازر

لسحق كل من عارض- أو عارضوا تأليه السيد المسيح، أو مساواته هو والروح القدس بالإله عز وجل- الأمر الذي يدفع الأتباع إلى التباعد صمتاً- آثرين التسلل بعيداً بدلا من الوقوع تحت براثنها؛ وهو ما تطلق عليه مراجع الغرب: النزيف الصامت للكنيسة.

أما استخدام البابا لعبارة «بصورة نهائية عن طريق ابنه» فهي تتضمن من ناحية: الإصرار على كل ما فرضه التيار المتعصب في الكنيسة، من تحريف على حياة عيسى ابن مريم وتعاليمه، منذ أيام بولس؛ ومن ناحية أخرى: غلق باب النبوة دون سيدنا محمد ﷺ وجعل السيد المسيح خاتم الأنبياء، و«الوسيط الوحيد بين الله والبشر» والذي «لا خلاص لأحد إلا من خلاله»!

نعم إن القرآن يخلو من كل ذلك التراث القائم على التلاعب بالنصوص في الإنجيل بعهديه، وأمرنا باحترام التنزيل السابق، والإيمان بكل من أرسلهم من رسل وأنبياء.

وليس المطلوب من أحد أن يغير دينه ، وإنما المطلوب هو أن نعبد الله، ونخلص له الدين وألا نشرك به أحداً.

قال تعالى: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ﴾ [المائدة:٤٧] وليس بما تم فيه من تحريف وإضافات وتعديلات، مازالت تتم الأمر الذي لم يعد من الممكن إخفاؤه بعد كل ما كتبه الأمناء من رجال الكنيسة، على الأقل لكي لا نذكر سوى الأب «لوازي» والأب «رودلف بولتمان» أو الأب «درويرمان».

افتقار البابا للآداب العامة

٤- يتناول البابا هنا، وبأسلوب يفتقر إلى أبجدية الآداب العامة، وبإصرار غريب، فيشير إلى الفرق بين الله القرآني، وكأنه قاصر على القرآن فحسب، أو أنه من

ابتداعه، والذي يظل بعيداً عنا، فهو مجرد لفظ لا قيمة ولا مضمون له، رغم كل ما يطلق عليه من أسماء حسنى!! وليغفر ولا عجب فإنه لا لوم على فاقد البصر والبصيرة.

وقد يكون للبابا عذره في عدم فهم القرآن باللغات الأجنبية، التي ترجمت معانيه بتحريف قائم على توجيهات الكنيسة، غير أنه نظراً للمكانة التي يتبوأها نيافته، والألقاب التسعة التي يحمل أمانة رئاستها وقيادتها، ومسؤولياته حيال الملايين، التي يقودها إلى التعتيم والضلال، تحتم عليه- ولو من باب العلم بالشيء- أن يلجأ إلى أحد أساقفته، الذين يجيدون العربية، ليقرأ له القرآن في لغته العربية المنزلة!

إن الإسلام دين شديد الوضوح والبساطة، لا حاجة به للقمع والقهر لفرض تعاليمه على الأذهان إنه دين قائم على الإيمان بالله وحده، خالق الكون، سيده ومدبر شئون ملكوته، والإنسان مجرد مخلوق في هذا الكون، الذي تم تسخير ما في سمواته وأرضه من أجله؛ أي إن سيادة الكون لله وحده لا شريك له، والإنسان مجرد سيد في هذا الكون، وليس سيداً له؛ وكافة آيات التوحيد تشير إلى التوحيد المطلق ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩].

وبذلك، فالإسلام -قطعاً- ليس دين فداء؛ لأنه لا يقر بدعة الفداء هذه، وبالتالي فهو لا يعطي أية مساحة للصلب ولا للبعث -بالمفهوم المسيحي-؛ لأنها أسطورة منسوجة من أجل التحكم في الأتباع؛ ولذلك أيضا يقوم الإسلام على الحاكمية المطلقة لله سبحانه وتعالى، ويلغي طبقة رجال الكهنوت، ولا يقر وجودها، وهو ما حاولت الثورة الفرنسية أن تقوم به في أواخر القرن الثامن عشر الأمر الذي مازالت الكنيسة تحاول اقتلاع آثاره من ضمن ما تحاول من أعمال.

فالقول بأن الله -عز وجل- مجرد لفظة جلاله لا تعني شيئاً، والقطع بأنه ليس

معنى، وإنما هو غريب بعيد عنا، لدليل -في نظرنا- على قمة الكفر بمطلق وجود الله، وبمطلق سيادته للكون، ولن نكف عن تكرار أنه ليس المطلوب من أحد أن يغير دينه، وإنما المطلوب هو العودة بالمسيحية إلى أصولها المنزلة لتستقيم الأمور.

وهنا لابد من الإشارة إلى ألوهية المسيح، التي أقحمها يوحنا في إنجيله، أو تم إقحامها فيه، غير واردة في الأناجيل المعتمدة الأخرى، ولا نعتقد أن هذا الموضوع الذي تقوم عليه المسيحية الحالية، من البساطة حتى لا تشير إليه الأناجيل الأخرى.

وليس المجال هنا لعرض بقية الاختلافات، ومنها ما يتعلق باللحظات الأخيرة ليسوع: فكل إنجيل يتناولها بطريقة تخالف الأخرى، إن لم تكن تناقضها، وفترة بقائه على الصليب -كما يقال- أو فترة ما بعد الوفاة؛ وخاصة ذلك المشهد المسرحي الذي ينفرد به إنجيل متى، وهو مشهد لا يمكن لمخلوق أن يغفله لهوله فالأرض التي تنشق، والقبور التي تتفتح، والأجساد التي تخرج، وتتجول بأكفانها في المدينة (متى ٢٧: ٥١،٥٣) ليست بالمشهد الذي يمكن لأحد أن يسقطه من إنجيله!

بل حتى الصرخة التي يقال إن يسوع أطلقها اختلفوا في نصها، واختلف المؤرخون في تفسيرها، وكذلك مكان ضربة الحربة في صدره، ومدة بقائه مدفوناً، بل حتى النص، الذي تم وضعه على لسانه، والذي يحدد هذه المدة بثلاثة أيام (متى ١٢: ٤٠) في حين أنه لم يبق سوى ليلة واحدة بحساب الأحداث والأيام، وحتى الكفن اختلفوا فيه: فمن قائل: ملاءة، ومن قائل شرائط أو لفائف.... إلخ، ولم نشر إلى هذه الشذرات إلا لتوضيح أنها برمتها مجرد إضافات وتعديلات، تمت وفقاً لمقتضيات الساعة.

ولا يتسع المجال هنا لتناول كافة المراجع القديمة والحديثة، التي تشير بالوثائق إلى هذا العبث، ولا نذكر سوى «جيرالد ميساديبه» الذي أوضح كتابه بالأدلة

والبراهين أن: السيد المسيح لم يمت مصلوباً ولم يتم تكفينه. كما يؤكد الباحث: «إن المنبع الأصلي الذي يشار إليه بحرف (Q) اختصاراً لكلمة (Quelle) وتعني المنبع، أي: النص الذي أخذت عنه الأناجيل الأربعة لا يتضمن شيئاً عن آلام يسوع «الرجل الذي أصبح الله» (ج٢ صفحة٢٥٦).... أي إنها أضيفت فيما بعد.

نعم إن القرآن الكريم لم يذكر يسوع إلا كنبي من الأنبياء، وهو ما قاله السيد المسيح عن نفسه في أكثر من آية، ومنها: «للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد» (متى ٤:١٠). «.... أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله» (يوحنا: ٨:٤٠). «..... والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للأب الذي أرسلني» (يوحنا ١٤:٢٤). وذلك بخلاف الآيات الصادرة عن الحواريين، وتدل على أنه نبي من الأنبياء، وليس بإله!.

ولا دليل على تورط البابا وفقدانه الموضوعية وانخراطه في غياهب التعصب، من الإصرار على استخدام لفظة «ما أوميه» للدلالة على سيدنا محمد ﷺ وهو ما دأب الغرب المسيحي على استخدامه لكي لا يستقر اسمه الكريم ﷺ في الأذهان فمن قائل ما فوميه، وبافويه، وماتوموس، وماكوميتس، وماكومتو، لينتهي بهم الأمر إلى لفظه «ماأوميه» التي نسجها التعصب الفرنسي، ويستخدمها البابا في أكثر من موضوع في كتابه الأخير موضوع هذا البحث، وكأنه يواصل «مباركة» ما يقومون به من تحريف بدلاً من تصويبه ومن الداعي إلى السخرية أن نراهم يجيدون كتابة اسم محمد، كما ينطق تماماً إذا ما كان يتعلق بشخص آخر سوى خاتم المرسلين.

أما فيما يتعلق بالسيدة مريم، فمن الإجحاف المضلل أن نقرأ في إجابة البابا: «ومريم أيضاً، الأم العذراء قد ورد ذكرها»! ويكفي المسلمين فخراً، أن القرآن كان أول من كرم السيدة مريم العذراء، بأن نفي عنها فريات اليهود، التي مازالوا

يقرونها، ولم يتوبوا عنها؛ نعم يكفينا فخراً أن الله سبحانه وتعالى قال عنها: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [التحريم]، كما قال تعالى عنها: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [آل عمران] أي أن الله – سبحانه وتعالى- قد دافع عنها من اتهامات اليهود لها بالزنا والحمل سفاحاً، وأشار إلى إيمانها وتصديقها لقول الله وكتبه، وإلى إيمانها وتعبدها؛ كما أوضح الله عز وجل أنه قد اصطفاها أي: اختارها من الصفوة مرتين: اختارها لشرفها وعباداتها، واختار لها لجلالها بأن جعلها خير وأفضل نساء العالمين ذلك هو القرآن وما قاله، والذي قام نيافة البابا بطمسه في عبارة «ذكرها أيضاً»!!

ويكفي المسلمين فخراً، مرة أخرى، بأن القرآن الكريم قد كرم السيدة مريم، أشرف نساء العالمين، قبل الكنيسة نفسها، والتي لم تهتم بتكريمها إلا لأغراضها السياسية، أو لدرء نتوءات يفرضها التحريف والتلاعب؛ فالمسيح –إلها- لا يليق أن تظل أمه مرتبطة بالخطيئة الأولى؛ فيتم تأليهها واختلاق حمل أمها بها حملاً إلهياً.

وهنا لا يسعنا إلا أن نسأل البابا «ممثل يسوع المسيح على الأرض، والمتحدث باسمه» أليس من الواجب أيضاً استبعاد مولد نيافته عن وصمة الخطيئة الأولى، وإشراكه رسمياً في قاموس الألوهية؟! حتى وإن كان ذلك سيتطلب إضفاء نفس السمات على الكرادلة المعاونين له، والذي أضفى عليهم مشاركته في السلطة الإلهية المسندة إليه!.

ولم نكتب ذلك مزاحاً، وإنما لتوضيح أن كل تحريف يتطلب سلسلة أخرى من التحريف... وهكذا... إلى ما لا نهاية.

أما إشارة البابا إلى أن «علم اللاهوت» في الإسلام يختلف تماماً عن اللاهوت

المسيحي، فلا نود تكرار القول: إنه حتى في هذا المجال قد خانته المعلومات العامة!.. فلا يوجد علم لاهوت في الإسلام، لأن الإسلام لا يقر وجود طبقة الكهنة، المبتعدة للاهوت، والمتحكمة في الأتباع من خلال غياهبه؛ وإنما يوجد علم «أصول الدين» الذي يطلق عليه أيضاً علم الكلام، أو العقيدة، أو التوحيد، أو الفقه الأكبر.... وهو ليس بلاهوت على الإطلاق، أي: إنه ليس حكراً على طبقة بعينها فحسب، وإنما يمكن لكل مسلم أن يقدم على دراسة هذا العلم، والتعمق فيه إلى ما شاء الله.

ونفس الشيء بالنسبة لما يطلق عليه البابا «علم الإناسة» الذي يختلف تماماً في القرآن عن «علم الإناسة» في اللاهوت المسيحي إن عظمة القرآن تكمن في أنه يتناول سير الأشخاص الذين يتحدث عنهم، سواء أكانوا من الأنبياء والرسل، أم من الملوك والعامة، يتناولهم من الجانب المطلق المجرد الرامز إلى ما يميزهم –بالنسبة لحدث ما– والذي لا يمكن اختصاره إلى أقل من ذلك وإلا فقد معناه، بينما العلم في الأناجيل قائم أو مرتبط بالتعديل، والتبديل، ومقتضيات الظروف السياسية أو الصراعية ومتطلباتها وهو ما لا يعرفه القرآن، ولله الحمد.

المسيحية بين التبديل والتغيير

٥- وهنا أيضاً، يؤسفنا أن نبدأ بالإشارة إلى المستوى الضحل لمعلومات البابا العامة، وإلى الاستهتار الساخر الذي يتحدث به عن المسلمين، وعن إخلاصهم للصلاة: إن عبارتي «دون أي اكتراث لا بالزمان ولا بالمكان» إن من يطلق على الإله «الله» يسقط على ركبتيه، ويستغرق في الصلاة عدة مرات في اليوم لتكشف الكثير – لا جهلاً بأبسط مبادئ الإسلام فحسب، وإنما بأبسط مبادئ الذوق في التحدث عن الآخرين!

إن عدد الصلوات الخمس وتوقيتها من أبجدية المعلومات العامة عن الإسلام، فأن يجهل البابا أنها تؤدي في زمان محدد ووفقاً لعدد محدد، فذلك جهل لا يضير إلا صاحبه .

والمسلم لا «يسقط» على ركبتيه، وإنما يركع، ويسجد له وحده، مثلما كانت الصلاة قديماً ركوعاً وسجوداً لله وحده الذي لا شريك لهن وذلك حتى أيام السيد المسيح عليه السلام.

فقد كان أيضاً يصلي ساجداً لله وحده، وهو ما نطالعه في العهد الجديد، إلى أن قامت الكنيسة «بتعديل» ذلك أيضاً.

أما أن يشعر البابا بالحسرة على «هؤلاء المسيحيون الذين يهجرون كاتدرائيتهم الرائعة، وقليلا جداً ما يصلون أو قد لا يصلون بتاتاً»..... فلا يسعنا إلا أن نؤكد لنيافته أن ذلك هو حصاد ما زرعه التعصب، والتحريف الكنسي على مر العصور فالإيمان لا يتواجد في القلب بناء على روعة الكاتدرائيات، وبذخ ما تحتوي عليه من نفائس ومجوهرات، ولا بما يفرض قهراً بعيداً عن المنطق دون مناقشة، وإنما يوجد الإيمان في قلب الإنسان اقتناعاً بما يعرض عليه.... والإسلام يتميز بالبساطة والوضوح، وذلك هو سر بقائه وانتشاره... فأبسط ما يمكن أن يعرف به الإسلام، حديث الرسول ﷺ «قل: لا إله إلا الله ، ثم استقم» أي: التوحيد المطلق بالله، والاستقامة في كل شيء.

أما المسيحية الحالية فهي قائمة على التبديل والتغيير ورتق كل ما ينجم من تهتكات، لا يقبلها العقل، مما أدى إلى عقيدة متناقضة المنطق والتركيب؛ وإلا لما اضطرت الكنيسة الهولندية إلى إصدار كتاب تعليم ديني جديد، عام(١٩٩٦) يخلو من ذكر تركيبة التثليث، وما إلى ذلك؛ لعدم استطاعة رجال الكهنوت هناك مواجهة الأتباع، أو الرد على أسئلتهم المحرجة الأمر الذي أدى البابا يوحنا بولس

الثاني إلى إصدار كتاب التعليم الديني الجديد الذي سبقت الإشارة إليه...

محاولة تنصير الإسلام

٧- لقد تمخض المجتمع الفاتيكاني الثاني عن عدة قرارات، لا سابق لها في التاريخ ولا يسع المجال لتناولها بالتفصيل ، وإنما سنعرض للنقاط الرئيسية التي تمس هذه الفقرة من رد البابا على السؤال الخاص بالإسلام، ويكفي أن نشير بداية إلى الصفة التي أصبح يشار بها إلى ذلك المجمع على الصعيد العالمي، وهي: أنه أول مجمع هجومي في التاريخ على كافة المستويات؛ ذلك أن من أهم قراراته:

- العمل على إسقاط الشيوعية وإحياء الكنيسة الأورثوذكسية بدلا عنها.

- اختلاق العام المريمي وظهورها عدة مرات لتهيئة الجو.

- تبرأة اليهود من دم المسيح كما يقولون، واعتبار المسيحيين هم شعب الله، حالياً!

- توصيل الإنجيل لكافة البشر، أي : العمل على تنصير العالم.

- إقرار الحوار مع الديانات غير المسيحية وبخاصة الإسلام لتنصيرهم.

- التأكيد على معصومية البابا من الخطأ وإضفاء سلطاته الكهنوتية على مجموعة من الكرادلة الذين يلونه كمعاونين له ولا نفهم كيف يكون البابا هو «المنتخب إلهياً» لتمثيل المسيح، والتحدث باسمه، ثم يقوم بتوزيع هذه السلطات الكهنوتية الإلهية المتفردة على طاقم من المساعدين؟!!

كما قام المجمع بإقرار: أن عملية الفداء قد تمت من أجل خلاص كافة البشر لتبرير عملية تنصير العالم؛ وهو ما يدفعنا إلى التساؤل حول هذا التناقض؛ لكي لا نستخدم عبارة أخرى؛ فكيف يخططون لتنصير العالم، ويقومون باتخاذ الإجراءات

اللازمة لذلك، ومنه فرض استخدام الكنائس المحلية في عملية التنصير هذه، ومضاعفة إرساليات التبشير، وإنشاء «السينودس» ويعني: «المجلس الدائم لأساقفة الكنيسة العالمية» والذي تتلخص مهمته في إعلام وإرشاد مقر العمليات العالمي، الخاضع لرئاسة البابا إلى جانب عقد المجامع الأسقفية الخاصة بالتبشير والإرساليات في مختلف أنحاء العالم كيف يتم ترتيب وممارسة كل ذلك ثم يتحدثون عن «احترام» الديانات الأخرى وإجراء «الحوار» معها!.... غير أننا لو عرفنا معنى «الحوار» في المجال الكنسي البابوي لبطل العجب.

فالحوار يعني كما ورد في الخطاب الرسولي للبابا المعنون بـ: «رسالة الفادي» التي يؤكد طوالها، كيف أن عملية فداء المسيح قد تمت من أجل كافة البشر: «إن الحوار يمثل جزءاً من رسالة الكنيسة التبشيرية» ويرى نيافته أن الإسلام: «من الديانات التي تحتوي على شوائب وأخطاء» مؤكداً «أن الخلاص يأتي من المسيح، وأن الحوار لا يعفي من التبشير بالإنجيل» كما ينص هذا الخطاب على تضافر الغرس الثقافي، والتبشير ومواكبتها من خلال الحوار.

فالحوار، في المفهوم الكنسي مجرد ذريعة لكسب الوقت بغية التسلل، وإتمام عملية الغرس التبشيري، والثقافي بلا مقاومة تذكر؛ أو كما يقول البابا في ذلك الخطاب نفسه:

«إن الكنيسة تستعمل الحوار، لكي تحسن حمل الناس على الارتداد والتوبة عن طريق تجديد ضميرهم، وحياتهم تجديداً عميقاً، في ضوء سر الفداء والخلاص، إن الحوار الصحيح يرمي –إذن بادئ ذي بدء– إلى تجديد كل الناس بالارتداد الباطني والتوبة مع احترام كل الضمائر».

ولا يفوت البابا أن يوضح كيف «أن الكرسي الرسولي يسعى إلى التدخل لدى

حكام الشعوب والمسؤولين عن مختلف المحافل الدولية، أو الانضمام إليهم بمحاورتهم أو إخضاعهم على الحوار لمصلحة المصالحة وسط صراعات عديدة».

ويختتم البابا هذا العرض لمفهوم الحوار عنده بتوضيح أنه «لا يمكن أن ينطلق أبداً من موقف لا مبالاة تجاه الحقيقة، لكنه بالأحرى يقوم بعرض هذه الحقيقة بهدوء، ونفس طيبة تحترم أفهام الآخرين وضمائرهم... وحقيقة الإنجيل- هذه ترمي إلى الارتداد الخاطئ والاتحاد بالسيد المسيح!.

وبما أن الإسلام يمثل «خطأ مطلقاً لابد من رفضه؛ لأنه يمثل خطراً بالنسبة للكنيسة، ولابد من محاربته» (فاتيكان اثنين صفحة ٢٠٢) فذلك يعني أن كل المسلمين خطاء، عليهم الارتداد عن خطأهم المطلق، والاتحاد بالسيد المسيح!.

الحوار في مفهوم البابا

يوضح ما تقدم معنى الحوار في مفهوم البابا، ولا نجد هذا الشرح في «رسالة الفادي»، فحسب تلك الرسالة التي يؤكد فيها «التزام الكنيسة بالحوار يظل صلبا، ولا رجعة فيه» (البند ٥٤)، وإنما تجد تنويعات مختلفة ، وبدرجات تتفاوت، من مجرد التفسير العابر إلى تكريس رسالة بأسرها عن الحوار، كتلك التي تسمى «الحوار والتبشير» (١٩٩١م). فما يدور حاليا عملية غرس استيطاني تطبيعي ديني، غرس قائم على إيقاع متتابع، تحت مسمى السلام، بغية كسر الحواجز النفسية، التي تقف حائلا في أي عملية تطبيع.

والغرس التبشيري من العبارات الجديدة التي تم إدخالها في المجال الكنسي حديثا، وتعني: «غرس البشارة في الأرض الثقافية لمنطقة ما».

يوضح البابا يوحنا بولس الثاني معنى ذلك الغرس الثقافي في خطابه المعنون: «الرسل السلافيون» قائلا: «إن الغرس الثقافي يعني: تجسيد الإنجيل في الثقافات

المحلية، وفي نفس الوقت إدخال هذه الثقافات في حياة الكنيسة» أما في خطابه المعنون «الحوار والتبشير» فيقول عن هذا الغرس إنه يعني: «تجسيد التبشير في الثقافة، والتراث الروحي للذين تتوجه إليهم الكنيسة، حتى لا تكون الرسالة المبلغة إليهم مفهومة فحسب، وإنما بحيث تبدو، وكأنها إجابة على تطلعاتهم الدفينة، أي أنها حقا النبأ السعيد الذي ينتظرونه».

وهو ما يقصده نيافته عند توضيح، كيف أن لقاءات الصلاة الجماعية، التي يدعو إليها ممثلين من كافة الديانات التوحيدية، وغير التوحيدية؛ تتم «من منطلق هذا المنظور» أي: من منظور الحوار للإقناع «بحقيقة الإنجيل التي ترمي إلى ارتداد الخاطئ والاتحاد بالسيد المسيح.

وفيما يلي مثال لهذا التلاعب بالألفاظ والمعاني المتلفعة بعبارات السلام: ففي لقاء بلدة «أسيز» المنعقد في (٢٧/ ١٠/ ١٩٨٦م) قال نيافته: «إن حقيقة حضورنا إلى هنا لا يتضمن أية نية ترمي إلى البحث عن إجماع ديني بيننا، أو أن يؤدي إلى المفاوضات، حول معتقداتنا، كما لا يعني أيضا: أن الديانات يمكنها أن تتصالح على مستوى ارتباط مشترك في مشروع أرضي، يتعداها كلها ولا يعني أيضا: تنازلا للنسبية في مجال المعتقدات الدينية، لأن كل إنسان، يجب عليه أن يتبع بأمانة ضميره المستقيم، بهدف البحث عن الحقيقة والانصياع إليها« رسالة الكنيسة» مجلة فصلية (١٩٩٢، العدد ٩٦، ٩٧ صفحة ٢٧).

وفي نفس الصفحة، من نفس المجلة، وبعد عدة أسطر تطالع ما يلي:

قام البابا يوحنا بولس الثاني بالتعليق على لقاء أسيز« في خطابه يوم (٢٢/ ١٢/ ١٩٦٨م) الموجه إلى كرادلة، وأعضاء الإدارة البابوية.. وهذا الخطاب جدير بالدراسة والتأمل؛ لأنه يتناول تأملا لاهوتيا كبير الأهمية يبرز نقاطا جديدة،

ومنها قوله:

- «بعد عشرين عاما من مجمع الفاتيكان الثاني، تأكد الحوار وتم تشجيعه».
- «إن الانفتاح وصل إلى درجة اقتراح تعاون حقيقي».
- لقد انتقلنا من لاهوت للديانات غير المسيحية إلى لاهوت لديانات العالم، أي: إن الديانات الأخرى لم يعد تقييمها قائما بناء على علاقتها بالكنيسة الكاثوليكية، وإنما بناء على علاقتها بالخلاص العالمي، الذي اقترحه الله عن طريق المسيح من خلال الروح القدس.
- ونتيجة طبيعية لذلك، فإننا نؤكد على «تمركز» كل المستقبل الإنساني حول موضوع وحدة الخليقة والفداء (راجع: «في زماننا هذا» الفقرة الأولى).

وتختتم المجلة ذلك الجزء بآخر فقرة قالها البابا، في اجتماعه مع الكرادلة وأعضاء الإدارة البابوية، عن لقاء «أسيز» هذا، والذي نطالع فيه:

«إن الهدف الإلهي الوحيد والنهائي، يتمركز في يسوع المسيح، الإله والإنسان الذي يتعين على كافة البشر أن يجدوا فيه اكتمال الحياة الدينية، والذي تصالح فيه كل شيء، ونفس الطريقة فلا يوجد مخلوق لا رجل ولا امرأة، لا يحمل في ذاته علامة أصله الإلهي، ولا يوجد مخلوق يمكنه أن يظل خارجا، أو حتى على هامش عمل يسوع المسيح، الذي مات من أجل الجميع، إذن فهو منقذ العالم».

ونفس الأسلوب المزدوج نراه في أسفاره الرسولية المتعددة حتى حينما يكون «أغلب السكان من المسلمين» – على حد قوله – فذلك لا «يمنع من أن يكون استقبال البابا حارا ولا من أن يتم الإنصات إليه باهتمام» ومجرد استخدامه لفظة «البابا» بدلا من أن يقول: «استقبالي»، وهو الأسلوب الذي يستخدمه طوال

الكتاب الذي نحن بصدده، إلا أنه يرمي إلى تأكيد صفته الكنسية وتوضيح أن المسلمين متعطشون إلى أقواله الكهنوتية.

ونود أن نلفت نظر البابا إلى معلومة بسيطة عن الإسلام، وهي أن الإسلام يحتم على صاحب المكان إكرام الضيف ثلاثة أيام، وأن هذا الكرم له آدابه من حسن ضيافة وإنصات ورعاية، ولا علاقة له بضمير الضيف المستتر، ولا بأغراضه الخبيثة!

البابا يتلاعب بالألفاظ

٨- يستشهد البابا في هذه الفقرة برحلته إلى المغرب عام (١٩٨٥م)، التي كانت «حدثا على المستوى الرعوي حقيقة» أي على المستوى الكنسي التبشيري.

ويستشهد البابا بمدى «افتتاح الشباب لخطاب البابا حول الإيمان بالإله الوحيد»، وتفضح هذه العبارة تلاعب نيافته بالألفاظ، وبعقول الحاضرين من الشباب، والذين قد يجهل أغلبهم ما وراء محدثهم من خلفيات ممتدة على مدى ألفي عام. والبابا يعلم تماما أن الإسلام دين يقوم على التوحيد، ولا يعبد إلا الله وحده لا شريك له؛ فأن يتوجه إلى هذا الشباب المسلم بحديث عن «الإله الوحيد فذلك لا يعني في نظر هؤلاء الشباب سوى الله سبحانه وتعالى الذي لا شريك له.

وإذا ما تصفحنا بعضا مما ورد بهذا الخطاب، الذي ألقاه يوم (١٩/ ٨/ ١٩٨٥م) لأدركنا فحواه، إذ يقول نيافته:

«إن الحوار بين المسيحيين والمسلمين أصبح ضرورة اليوم، أكثر من أي وقت مضى. إن الكنيسة تنظر باحترام إلى مسيرتكم الدينية، وتعترف بنوعيتها، وبثراء تراثكم الروحي نحن أيضا – معشر المسيحيين – فخورون بتراثنا الديني، وأعتقد

أننا مسيحيون ومسلمون يجب علينا أن نعترف بسعادة: بالقيم الدينية المشتركة بيننا وأن نشكر الله عليها فكلانا يؤمن بالله، الإله الوحيد، العادل الرحيم، نؤمن بأهمية الصلاة، والصوم، والزكاة، والعقاب والغفران، نؤمن بأن الله سيكون حاكما رحيما بنا في نهاية الزمان، ونأمل أنه بعد البعث سيكون راضيا عنا، ونحن راضون عنه، إن الأمانة تقتضي، أيضا، أن نعترف ونحترم خلافاتنا، إنها خلافات هامة، يمكننا تقبلها بتواضع واحترام، وفي تسامح متبادل، إننا مسيحيون ومسلمون عادة ما أسأنا فهم بعضنا بعضا، وأحيانا في الماضي قد تعارضنا، بل وأهلكنا بعضنا في صراعات وحروب أعتقد أن الله يدعونا اليوم إلى تغيير عاداتنا القديمة علينا أن نحترم بعضنا، وأيضا أن نشجع بعضنا، في أعمال الخير، على طريق الله».

إن التعليق الوافي على هذا الجزء الصغير من الخطاب الطويل، الذي ألقاه البابا على شباب المغرب قد يحتاج إلى مجلد بأسره، لما فيه من تلاعب بالألفاظ وطمس للحقائق.

ولن نشير هنا سوى إلى بعض العبارات، ومنها ذلك «الاحترام» الذي تنظر إليه الكنيسة إلى الإسلام، لكنها لا تعرف أن عليها الاعتراف به قبل أن تنطق بأي عبارة أخرى.

وذلك يجب أن يكون المطلب الأساسي لأي حوار، بالمفهوم الأمين للكلمة، فمثلها بحثت ونقبت في أرشيفها السري – كما نطالع في البيان الرسمي بذلك – واكتشفت خطأها في حق اليهود، عليها أن تبحث في نفس الأرشيف السري؛ لتكشف خطأها في حق الإسلام والمسلمين، ذلك «الخطأ» الذي مازال البابا يتزعمه بكل أسف.

أما خلافاتنا التي علينا أن «نتقبلها بتواضع واحترام، في تسامح متبادل». فذلك

أمر مرفوض بالقطع، لأنه يعني الخروج على الإسلام لأن خلافانا الجذري، قائم على نفس تحريف العقيدة وتأليه السيد المسيح وتجسد الله فيه إلى آخره. وقبول هذه التركيبة الثالوثية، بغض النظر عن أي احترام، ولا أي تواضع، يعني الخروج عن تعاليم الله سبحانه وتعالى الذي نص على ألا نشرك به أحدا، ولا يسع المجال هنا للاستشهاد بعشرات الآيات التي تدين الشرك بالله، ويكفي أن نذكر قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨].

أما عن إساءة فهم بعضنا بعضا «أحيانا» في الماضي، فلا يمكن أن نفي هذه العبارة حقها من الشرح والتعليق. فهذه الكلمة ، تخفي وتطمس: مجازر، ودماء سالت طوال أربعة عشر قرنا، على كافة أنحاء العالم حينما امتدت أيادي التعصب ومخالبه.

ومقولة «إننا قد تعارضنا وأهلكنا بعضنا في صراعات وحروب» لا أساس لها من الصحة، لمجرد وضع موقف كل من المسيحية والإسلام في كفتين متساويتين. وكيف سنقيم المعادلة، إذ كانت الأولى شرسة الهجوم، والثانية ضحلة الدفاع حتى عن نفسها؟!

وهنا لا يسعنا إلا نقول: ليستجب نيافة البابا – كما يقول – إلى دعوة الله، ويغير «عادتهم القديمة» المتواصلة حتى يومنا هذا، وأن يكف تيار التعصب عن قيادة محاولة اقتلاع الإسلام لتنصير العالم، فالعقيدة القائمة على التحريف والتبديل والأكاذيب لا يمكن لها أن تستقيم أو تسود، إلا بالعودة بها إلى أصولها المنزلة. والعودة بها إلى حقيقة الله سبحانه وتعالى، وليس إلى «الحقيقة» اللاهوتية، وعندئذ – فحسب يمكن للمسلمين أن ينظروا بعين التقدير والاحترام إلى قوم دأبوا على

تحريف العقيدة التوحيدية، ودأبوا على فرض تحريفها قهرا، ثم تابوا وأفاقوا وآمنوا بما أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيهم عيسى بن مريم.

صمود الإسلام

٩- تتناول هذه الفقرة التاسعة والأخيرة من رد البابا – الجانب السياسي – بشكل أوضح، حتى وإن كان من داخل إطار الدين، وهي فقرة يمكن تلخيصها في عبارة: «صمود الإسلام»، وإن كانت تتضمن أربعة محاور، وهي:

أ- التيارات الأصولية التي تفرض «الدين الحقيقي» على كل المواطنين.

ب- الظروف المأساوية للأقليات المسيحية.

ج- الأصولية تجعل الحوار صعبا.

د- الكنيسة ثابتة في استعدادها للحوار والتعاون.

ولن نعتب على البابا، إذ إن كافة إجاباته، تزخر بمثل هذه المآخذ، فمن الواضح أن تلك هي سمة خطابه بصفة عامة، لكننا سنبدأ بالإشارة إلى أصل الأصولية ونشأتها الكنسية حتى تتضمن الأمور.

وكلمة الأصولية، مرتبطة ارتباطا عضويا بكلمة الحداثة، أو بما يطلق عليه «معركة الحداثة»، وتعني هذه المعركة اختصارا: المطالبة بدراسة وتنقية النصوص الإنجيلية مما أجرى فيها من تحريف وإضافات؛ والمطالبة بإنجيل يسوع، الذي أخفته الكنيسة، ومطالبتها بعدم التدخل لإعاقة الحركة العلمية وتطورها.

وكان فريق علماء الحداثة يتكون أساسا من كنيسيين، وانضم إليهم بعض المدنيين، أي أنها حركة قامت على أيدي أشخاص عالمين ببواطن الأمور، وليسوا دخلاء عليها.

هذه الأحداث قامت في الفترة المعروفة باسم «صحوة العقل الفلسفي، والدفاع عن السلطة الأخلاقية للإنسان الحر» كنقيض للإنسان الخاضع للكنيسة وسلطانها، الذي أدى إلى طمس معالم التوجه إلى الله؛ ليصبح التوجه إلى السيد المسيح، أو ما يطلق عليه: الازدواجية القطبية في المسيحية.

وثار التيار المتعصب بشراسة وصلت إلى الاغتيالات، دفاعا عن مصالحه التي أرساها غرسا على مدى ألفي عام، وقام برفع درع «الأصولية» أي: التمسك «بالأصول»، وبكل ما تم بها من تحريف، بل واعتبارها منزلة!

وتوالت الخطب الرسولية التي تدين الحداثة وتدافع عن الأصولية، وأهمها الخطاب المعنون «سيلابوس» (١٩٨٤) ويحتوي على فهرس «بالأخطاء» التي أشار إليها العلماء التي يجب على الكنيسة أن تحاربها.

الخطاب المعنون «أشياء محزنة» (١٩٠٧م) الذي يعد بمثابة تكملة للخطاب السابق وإن كان على بعد أربعين عاما تقريبا، ومن باباوين مختلفين، لكنها استمرارية لمخطط واحد. بينما كانت تساندها تقارير لجنة محكمة التفتيش وتعليماتها، ومنها: سحب الكوادر الشابة الكنسية من حلقات البحث الديني في المعاهد والمدارس الدينية.

منعهم من الاشتراك في المجلات، التي تروج «لبدعة الحداثة». ومنع ترسيم كل الذين تشبعوا بهذه الأخطاء الحديثة، ولا يوافقون على إنكارها.

ولم نذكر ما تقدم إلا لنوضح: أن الأصولية في المجال الكنسي، تعني الإصرار على التمسك بكل ما تم من تحريف في النصوص الإنجيلية، وأن «الحداثة» في نفس المجال الكنسي، تعني كشف هذا التحريف. أما في المجال الإسلامي، حيث القرآن الكريم منزل، ولم تمسه ولن تقترب منه الأيادي العابثة مهما حاولت، فإن معنى

الحداثة هنا يأخذ مفهوم تحريف معاني القرآن والسنة والتلاعب بنصوصها. وهو ما يستميت الغرب المسيحي حاليا في عمله – أما الأصولية، في المجال الإسلامي، فتعني المحافظة على الأصول سليمة، كما هي، والدفاع عنها ضد أي تحريف.

أما رد البابا في هذه الفقرة الأخيرة، والبنود الأربعة التي يتضمنها، فإن أول ما نشير إليه في المحور (أ) هو تعميمه غير الأمين في أن الأصوليين – حينما يصلون إلى الحكم – يقومون بفرض «الدين الحقيقي» على كل المواطنين، والمغالطة هنا لا تكمن في انتقاده لعبارة «الدين الحقيقي» التي وضعها بين «شولتين» سخرية، أو لعدم صدقها في نظره، ولن نعيرها التفاتا، إذ أوضحنا ما فيه الكفاية لما يقوده هو شخصيًّا من تعصب، وإنما تكمن المغالطة في قوله عبارة: «على كل المواطنين» والتعميم هنا يعني به الإخوة المسيحيين، وتلك هي الطامة الكبرى، لا في مستوى معرفته بالإسلام فحسب، وإنما في اتخاذه ذلك تبريرا للتدخلات السياسية – الدينية زعما للدفاع عنهم، والإسراع بعملية التبشير والغريب.

وهنا نقول للبابا: إن الإسلام، لشديد الوضوح، إذ ينص على أنه: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. كما يقول بنفس الوضوح: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف: ٢٩]. أي أنه لا يمكن لمسلم يعلم أصول دينه ويتمسك بها – بل ويتهم من أجل ذلك بأنه من الأصوليين – أن يخالف آيات بمثل هذا الوضوح، خاصة إذا ما أضيف إليها آية أخرى تقول بنفس الوضوح: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

أما مقولة نيافته عن ظروف هذه الأقليات «المأساوية» فهي مقولة تفتقر إلى نفس الصدق والمصداقية. فما من أقلية مسيحية في العالم أجمع تتعرض لمأساة سوى مأساة تدخلات معقل الفاتيكان، وإصراره على استخدام الكنائس في عمليات التبشير

والتنصير والحوار .....الخ.

الأمر الذي يضع هذه الأقليات في حيرة مأساوية حقيقية حينما تتساءل ضمائرهم عن مصير ولائهم: أيكون للوطن الأم الذي نشأوا فيه ويأويهم، أم يخونونه إذعانا للأوامر المتعصبة، ومتطلباتها، رغم كل ما بينهم هم من خلافات؟

فاستخدام الكنائس المحلية من قرارات المجمع الشهير، ومن قرارات «السينودس» الذي تمخض عنه كما رأينا، ومن قرارات مؤتمر «كولوراد»، للتنصير الذي انعقد عام (١٩٧٨م) ....الخ.

ومن الطبيعي أن تؤدي الأصولية، بمفهومها الإسلامي السليم – وهو الدفاع عن الإسلام والمحافظة عليه من أي تحريف – إلى جعل الحوار – بمفهومه الكنسي، التبشيري – شديد الصعوبة إن لم يكن محالا. وهو المطلوب لا من الأصوليين فحسب، وإنما من كل مسلم مؤمن بدينه غيور عليه، وخاصة من كل المسلمين، الذين يشاركون في مثل هذه المؤتمرات والمنتديات والصلوات.

ويختتم البابا رده المثقل والاتهامات بعبارة تتلفع بالبراءة والتسامح، موضحا أنه رغم كل هذه «المصاعب» التي ذكرها طوال أربع صفحات عن الإسلام والمسلمين، فإن الكنيسة ثابتة في استعدادها للحوار وللتعاون. ولا نملك إلا أن نقول لنيافته: إن هذا الحوار وهذا التعاون الذي يعني أحدهما: «إلزام الخاطئ الارتداد والدخول في خلاص يسوع المسيح». بينما يعني الآخر: «مساعدة الخاطئ على اجتياز عملية الارتداد مع احترام «أفهامه» والعمل على تجديد ضميره بالارتداد»، فهو أمر مرفوض بكافة المقاييس والأشكال والوسائل.

إنه أمر مرفوض حتى بإسقاط ديون العالم الثالث التي يلوح بها نيافته ثمنا للتنصير أو إغراء به، في خطابه الرسولي الأخير الصادر في: (١٤/ ١١/ ١٩٩٤م)،

بعنوان «عشية الألفية الثالثة». وهو الخطاب الذي يعد بمثابة خطة خمسية للسنوات الباقية من القرن العشرين، ليكون الاحتفال عبارة عن تمجيد للثالوث، ينتهي بمؤتمر عالمي للقريان، وسبقه عملية إسقاط ديون العالم الثالث، ودعوة للحج والصلاة الجماعية: في أماكن لها مغزاها بالنسبة للديانات التوحيدية»، وقد يكون نيافته يشير إلى «غزو» مكة وتبشيرها..!

وفي نهاية هذا العرض الموجز لرد البابا على السؤال القائل «ما الفرق بين الله عند المسلمين وإله المسيحيين؟»، الوارد في كتابه المعنون «ادخلوا في الرجاء»؛ وما تبعه من تعقيب أوردناه مختصرا بقدر الإمكان، لا نملك إلا أن نقول للبابا «المعصوم من الخطأ» رسميا بقرار من المجمع الشهير، أن يراجع ما ورد بإجابته من فريات، وأخطاء ضد الإسلام والمسلمين،

ماذا لو تخلى نيافته عن كل هذه «العادات القديمة» قدم أربعة عشر قرنا، واعترف بأخطائها، ليقود خرافه الضالة إلى إنجيل يسوع الحقيقي، وإلى رسالته التوحيدية التي بشر بها فعلا وتاهت معالمها تحت أنقاض التحريف: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾ [المائدة: ٤٧].